سلسلة القصص النبوي ٢

مكتبة الصحوة

قصص رواها الرسول صلى الله عليه وسلم

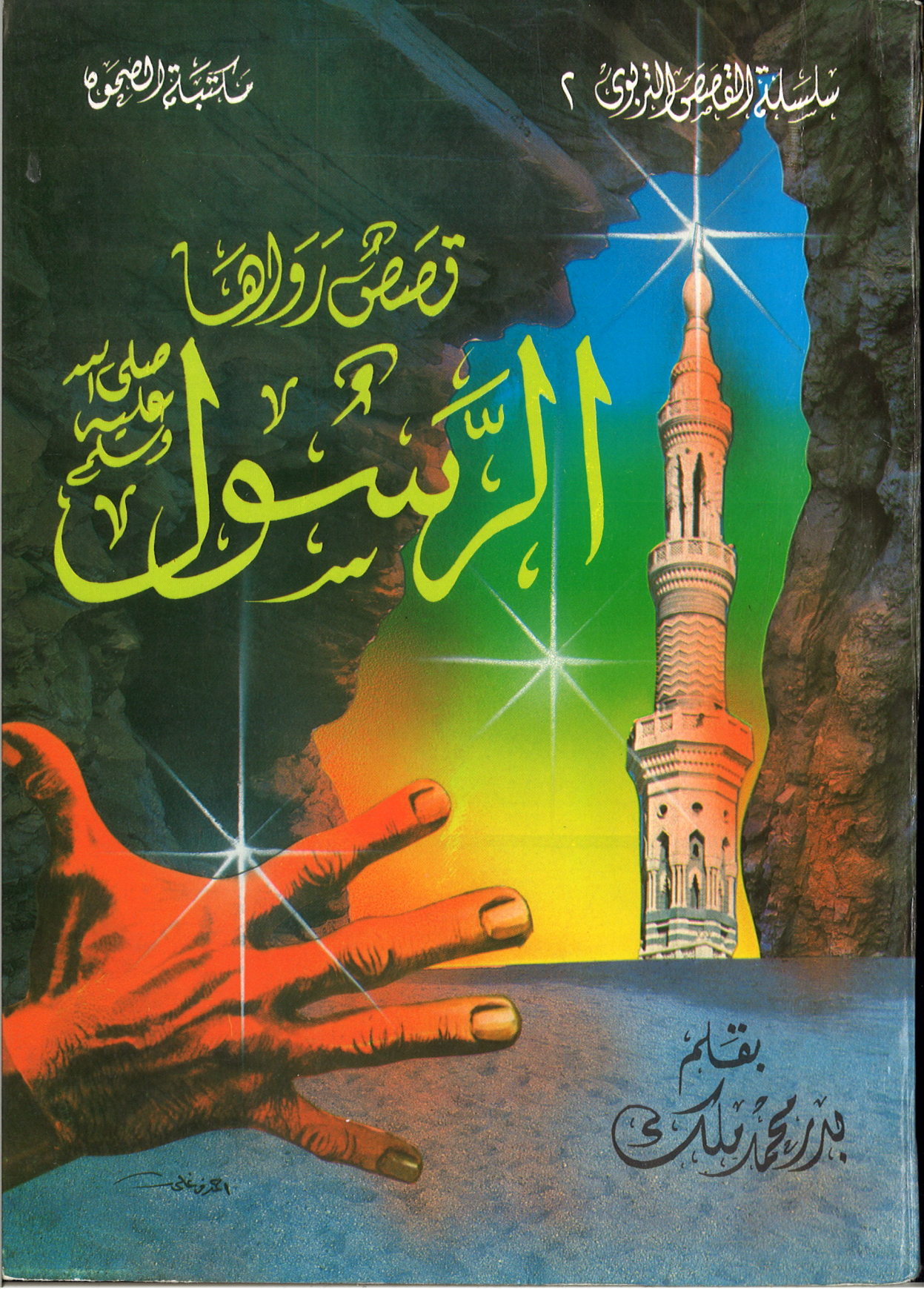

بقلم
بدر محمد بلتاجي

قصص رواها

الرسول ﷺ

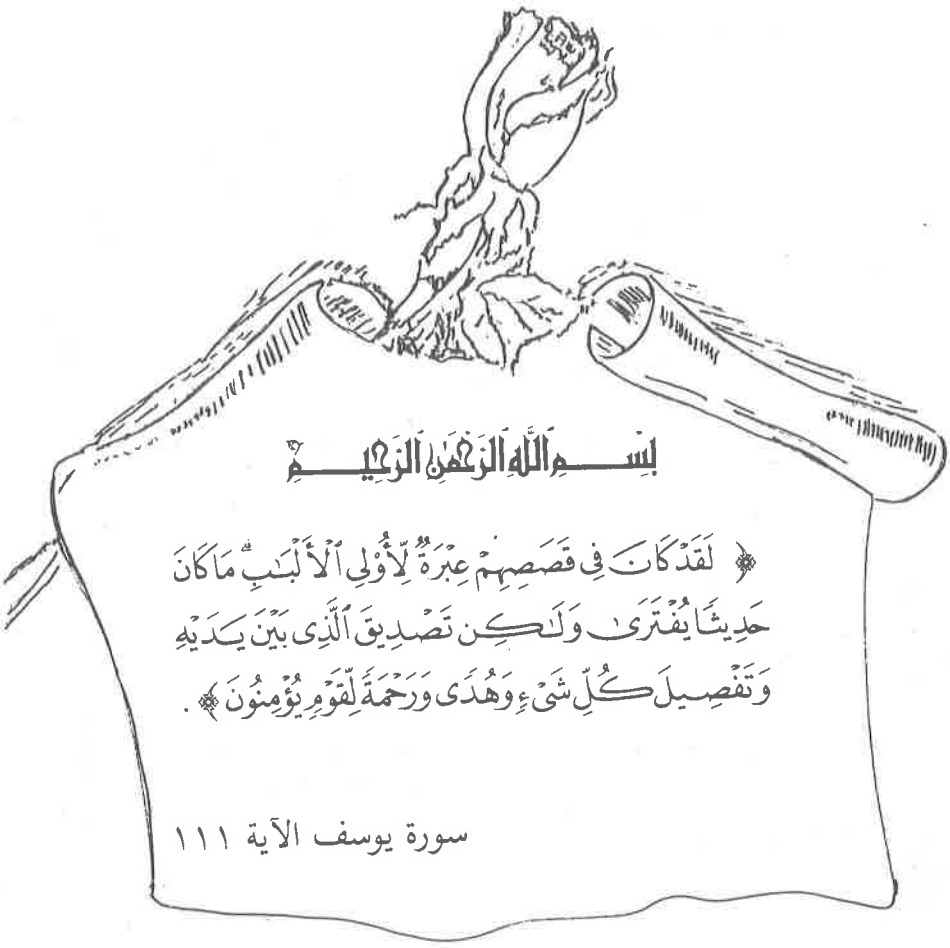

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ .

سورة يوسف الآية ١١١

سلسلة القصص التربوي (٢)

قصص رواها الرسول صلى الله عليه وسلم

بقلم
بدر محمد ملك

حقوق الطبع محفوظة
للمؤلف
الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

مكتبة الصحوة الإسلامية
حولي شارع بيروت - مقابل السنترال الجديد
ص. ب: ٣١٢٢ رمز البريد 32032
ت: ٢٦١١٠٠٦

دعاء ورجاء

اللهم يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد:

إنا قد اجتمعنا عند كوثر حديث نبيك ﷺ، فارزقنا من رحيقه المختوم قلباً خاشعاً، وعلماً نافعاً، وعملاً صالحاً، وآت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

ربنا كما هديتنا في الدنيا لنور الإسلام اجمعنا في الختام عند حوض خير الأنام عبدك محمد ﷺ، واسقنا من يديه الشريفتين شربة ماء لا نظمأ بعدها أبداً.

«**اللهم** لا تعذب لساناً يخبر عنك، ولا عيناً تنظر
إلىٰ علوم تدل عليك، ولا قدماً تمشي إلىٰ خدمتك،
ولا يداً تكتب حديث رسولك، فبعزتك لا تدخلنا
النار»...

اللهم آمين.. آمين.. يا رب العالمين

للإتصال بالمؤلف

أ.د. بـــدر محمـــد ملك

@4bader111

bmalek227@gmail.com

www.badermalek.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، الحمد لله علىٰ آلائه التي تترىٰ ونعمه التي لا تُعد ولا تحصىٰ، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الخلق محمد بن عبدالله، سيد الأصفياء، وخاتم الأنبياء، البشير النذير والسراج المنير، أزكىٰ البشر روحاً، وأكملهم خَلْقاً، وأجملهم خُلُقاً، أدىٰ الأمانة ونصح لهذه الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتىٰ تركنا علىٰ المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وبعد:

فها نحن نستأنف اللقاء، مع الإخوة القراء في صحبة الجزء الثاني من هذه السلسلة الذهبية من روائع القصص النبوي، نلتقي وما أجمل اللقاء حينما يكون علىٰ ضفاف قصة نبوية شريفة فيها متعة القصة، وعبرة الموعظة، والاستزادة من الفقه، وثواب مجلس العلم، إنه سمر النبلاء، وأنس الشرفاء، وغرس الأمناء، من نبع الطاعة يرتوون، ومن كأس الحكمة يرشفون، يغبطهم عليه الملوك والأمراء والسادة والكبراء لو علموا بحالهم وما هم فيه، فصحبتهم مع حديث رسول الله ﷺ، وثمرتهم منه متعة نفس، ونزهة عقل، وتحصيل علم وحكمة ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1] فأعظِم وأكرم بجوار أهل الحديث وطلاب العلم.

---

(١) سورة البقرة: الآية: ٢٦٩.

ولا عجب أن نرىٰ في تراجم الرجال من سيرة سلفنا الصالح أن أحدهم كان إذا أراد أن يُحدِّث حديثاً عن رسول الله ﷺ توضأ وتعطر وسرّح لحيته ولبس فاخر الثياب كل ذلك تعظيماً وتكريماً لهذا المقام المحمود ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[٢] بل قد بلغ حرص الوزير أبي المظفر يحيىٰ بن محمد بن هبيرة علىٰ سماع الأحاديث النبوية أنه سمع صوتاً وعويلاً وهو يسمع حديث رسول الله ﷺ فإذا بابنه قد مات.. فخرج من الدرس لإسكات أهله عن الصياح ثم عاد للمجلس حتىٰ انتهىٰ[٣]!!

في هذا الجزء نصحب مجموعة قصصية جديدة من كنوز السّنة النبوية، والجزء الثاني - كصنوه الجزء الأول - يسهم في دراسة القصة في السنة النبوية، وتتبع دلالاتها التربوية، فهي محاولة في البحث والتقصي، تسعىٰ لاستخلاص العبر والعظات النافعة الجامعة من دوحة الحديث النبوي الشريف، نقتطف من أفنانها حقائق التربية، ودقائق التعليم، وأصول الدعوة والإرشاد، وكنوز المعرفة والثقافة.

وذلك من خلال دراسة نصوص قصصية منتخبة من رياض السنة النبوية وعبر الرجوع إلىٰ كتب الحديث والتراث بغية توظيفهما في إثراء الفكر التربوي المعاصر، الذي اشتد حنينه للإسلام وتراثه الزاخر الزاهي.

والمنهج المتبع في هذا العمل يتدرج علىٰ النحو التالي في كل قصة:

أولاً: اخترت عنواناً مناسباً لكل قصة إذ أن بعض الأحاديث كانت مُدرجة ومعنونة في كتب المحدثين تحت أبواب ومصطلحات فقهية دقيقة.

---

(٢) سورة الحج: الآية ٣٢.

(٣) انظر غرائب الأخبار - خالد سيد علي - ج ٢ ص١١٨.

ثانياً: قمت بإعداد توطئة ممهدة لمعظم القصص أشبه ما تكون بمدخل أو تعريف لها وأحياناً تتضمن هذه التوطئة معلومات وحقائق مكملة ومتممة للمراد عرضه وسرده، أو بمثابة موجز للقصة نفسها.

وهي إضافة أرشد إليها، وأشار بها أستاذي فضيلة الشيخ الدكتور **صديق عبدالعظيم**، فله جزيل الشكر على ملاحظاته القيمة واقتراحاته النافعة المباركة.

وإذا كان مَن لم يشكُر الناسَ، لم يشكُر الله كما قال النبي ﷺ فإنني أحب أن أسجل في هذا المقام شكري وتقديري لهذا الشيخ الجليل الذي لم يبخل على طلاب العلم والدعاة بوقته وجهده وعلمه، وإني أسأل الله العلي القدير أن يجزيه خير الجزاء على تلك الساعات التي خصّني فيها لمناقشة مسألة أو معالجة معضلة، وأن يكون هذا العطاء المبارك في ميزانه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٤].

ثالثاً: أضفت في هذا الجزء ترجمة موجزة للصحابي راوي القصة.

رابعاً: في الهامش تتبعت الكلمات والألفاظ الغريبة بالشرح والتوضيح وأحياناً بالربط والتعليق والتعقيب، في محاولة لاصطحاب القارىء الكريم إلى ما أثار عندي الإعجاب والانبهار لينعم كما نعمت ببلاغة الرسول ﷺ من دقة اختيار الألفاظ وغزارتها، ففي كل حديث كلمة جديدة أو استخدام جديد لها، وهكذا لا تنقطع الكلمات التي تستلزم تتبع معانيها، وهذا وجه عظيم من وجوه التفرد والروعة في البلاغة النبوية، وحينئذ لا غرابة في أن يُفرد العلماء ومنذ زمن بعيد المصنفات والرسائل رجاء الوفاء بتلك الدرر النظيمة التي تنساب من فم النبي ﷺ انسياب الماء العذب

---

(٤) سورة الشعراء: الآية ٨٨.

البارد، والرحيق المختوم، ﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾[٥] في أفواه عطاش، وأكباد حراق من حر يوم شديد.

«بـالله لفـظك هذا من عسـل أم هل صببت على أفواهنا العسل»

خامساً: قطّعتُ وقسّمت متن الحديث ونص الحوار إلىٰ أجزاء وفقرات حسب سير الأحداث ووقوعها بشكل متسلسل بغرض التشويق ووصولاً إلىٰ تحقيق المتابعة الدقيقة.

سادساً: للحديث أحياناً عدة روايات أو طرق في بعضها زيادة معنىٰ أو حدث، أو بيان للفظ غامض أو توضيح موقف، فكل رواية تكشف أو تضيف الجديد، ولكي يتسنىٰ للقارىء الكريم الوقوف علىٰ عدة روايات وطرق في قصة واحدة ومكان واحد عمدت إلىٰ تلك الزيادات فأضفتها بقدر الاستطاعة.

سابعاً: في نهاية كل قصة جملة من القواعد والفوائد المستنبطة، فيها ثروة تراثية وعلمية ضخمة تتمثل بأقوال أعلام الإسلام وإشاراتهم اللطيفة، وإرشاداتهم القيمة المستمدة من وحي ذلك القصص الخالد والذي عرضه النبي ﷺ ورواه بأسلوبه الساحر الأخّاذ، ومن معين علمه الريان، ونهجه المعجز في البيان.

أعلم أن هذا هو جهد المقلّ المقصِّر، ولكن العبد إذا أخلص ثم اجتهد، وقارب وسدد، فإن الله عز وجل - إن شاء - يبارك له في ذلك العمل حتىٰ يُزهر ويُثمر.

«رب وفّـقـني فلا أعـدل عن سنن السـاعـين في خير سنن»[٦]

---

(٥) سورة الواقعة: الآية ١٨.

(٦) شرح شذور الذهب - ص٣٠٦.

اللهم إنا نسألك الهداية والرشاد، والتوفيق والسداد في القول والعمل والاعتقاد، إنك أنت السميع المجيب، عليك توكلت وإليك أنيب[٧].

بدر محمد ملك
أبو ناصر
الكـــويت

* * *

(٧) أعتذر للسادة القراء عن عدم صدور هذا الجزء بالسرعة المطلوبة وذلك أننا في الكـويت قد تعرضنا لأبشع غزو من جارة استخدمت كل وسائل التضليل وارتكبت في حق الإسلام والإنسانية ما يَنْدَىٰ له الجبين، وبعد أن منّ الله علينا بالحرية والتحرير شُغلت بإصدار كتاب عن المحنة «من وحي المحنة» وأسأل الله العلي القدير أن يعجل في فك قيد إخواننا الأسرىٰ.

القصة الأولى:

سارة العفيفة

كان في مصر حاكم جبار من ملوك العرب العماليق «الهكسوس» يُذل الناس ويغتصب النساء، ومِن حوله بطانة السوء وحاشِية الفساد تُزين له ارتكاب المحرمات، وفعل الموبقات، وتدُله علىٰ المرأة الجميلة الفاتنة كي تصبح دُمية في يده وضحية لشهوته، وزبانية الشؤم في كل عصر ومصر يتقربون إلىٰ ملوكهم علىٰ أكتاف الضعفاء وأعراض الشرفاء. وفي تلك الفترة التي تسلط فيها هذا الطاغية علىٰ مصر أصاب بلاد الشام بلاء وضيق بسبب الجدب والقحط، وعمّ الغلاء فيها، وكان من أهلها سيدنا إبراهيم عليه السلام فهاجر هو وزوجه سارة إلىٰ مصر.

في الأمس ترك خليل الرحمن موطنه في أرض الكلدانيين في العراق وولىٰ وجهه شطر بلاد المقدس إلىٰ بلاد الكنعانيين، وإذا كان إبراهيم قد فارق العراق لأسباب دينية فها هو في هذه المرة يترك الشام إلىٰ مصر لأسباب اقتصادية، وأرض الله واسعة.

السيدة سارة من سيدات العالمين طهارة وعفة وأحسنهن جمالاً رضي الله عنها، لم يعلم إبراهيم عليه السلام أن القدر قد خط في سجله مواجهة حرجة، ومحنة غير متوقعة بينه وبين ذلك الملك الفاجر المفتون بالنساء.

وهكذا يسير الإنسان برجليه إلىٰ ما قدِّر وكتب له دون توقف أو تخلف، يريد أن يهرب من بلاء القحط وبلاد الفقر فيقع فيما هو أشد وأسوأ،

ولكن مِن المحذور لا ينجو الحذِر، ولا مفر من سهام القدر، فكما أن الله عز وجل قد حدد بسابق علمه مواقع المطر ومنابت الكلأ بدقة متناهية، فقد دبّر الأمور وقدّرها كذلك بحكمة بالغة، وإرادة نافذة.

فلن تموت نفس حتىٰ تستوفي ما كُتب وقُدّر لها دون نقصان أو زيادة، وفي الحديث «**إنه لن تموت نفس حتىٰ تستكمل رزقها وأجلها**» إن الله عليم خبير.

* * *

عن أبي هريرة* رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

لم يكذب إبراهيمُ النبي عليه السلام قطُّ[1].
إلا ثلاث كذبات[2]،
ثنتين في ذات الله[3]،
قوله: [حين دُعي إلىٰ آلهتهم][4] إني سقيم[5].
وقوله: بل فَعَلَهُ كبيرُهُم هذا[6]،

---

* ترجمة راوي القصة (أبي هريرة ٢١هـ - ٥٩هـ): هو عبدالرحمن بن صخر. من قبيلة دوس صحابي راوية الإسلام. أكثر الصحابة رواية. أسلم ٧هـ وهاجر إلىٰ المدينة المنورة. ولزم صحبة النبي ﷺ فروى عنه أكثر من خمسة آلاف حديث. ولّاه أمير المؤمنين عمر البحرين، ثم عزله للين عريكته. وولي المدينة سنوات في خلافة بني أمية. الموسوعة الفقهية جـ١ ص٣٣٩.

(١) قطّ: أبداً.

(٢) لم يقصد النبي ﷺ بهذه الكذبات الثلاث حقيقة معنىٰ الكذب - لأنه يخل بعصمة الأنبياء - إنما قصد أن إبراهيم الخليل أخبر بإخبارات توهم الكذب في الصورة وهي ليست بكذب في الواقع، وإنما هو نوع من التعريض المباح وقد قال ﷺ: «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب» محمد علىٰ الصابوني - النبوة والأنبياء - ص٧٤، ص٧٠ بتصرف.

(٣) ثنتين في ذات الله: خالصة لا مصلحة له فيها ولا منفعة.

(٤) هذه الزيادة من مسند الإمام أحمد. ج ٢٠ ص٥٠ الفتح.

(٥) (٦) كان من عادة قوم إبراهيم عليه السلام في احتفالاتهم بالأعياد الدينية، أنهم يخرجون في الأعياد إلىٰ الخلاء فيحتفلون ويتسامرون بالعيد خارج المدينة. . وفي أحد تلك الأعياد دعوا إبراهيم الخليل للخروج معهم ومشاركتهم في فرحتهم، ولكن إبراهيم عليه السلام رفض هذه الدعوة واعتذر بقوله: إني =

وواحدة في شأن سارة[٧].

فإنه قدِمَ أرض جبّار [من الجبابرة][٨] ومعه سارةُ، وكانت أحسن الناس،

فقال لها: إنّ هذا الجبّار إن يعلم[٩] أنك امرأتي يغلبني عليك[١٠]!! فإن سألك فأخبريه أنك أختي!!

فإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك[١١].

= سقيم، أي مريض وهو يريد أنه سقيم النفس لما عليه قومه من شرك وضلالة ولم يرد أنه سقيم الجسم.

وعندما خرج القوم قام إبراهيم عليه السلام بتحطيم أصنامهم وتكسيرها في غيبتهم.. وعندما سئل قال: بل فعله كبيرهم، اسألوا الإله الأكبر لعله يجيب أو يخبركم ويدلكم على الفاعل.

وبهذه الإجابة أقام الحجة على بطلان ألوهية أصنامهم التي لا تسمع ولا تنفع.

هنا نجد أن المعاريض كانت محمودة الأثر، طيبة الثمر.

(٧) ثنتين كما عرفنا كانتا في ذات الله، والثالثة والتي هي محور قصتنا كانت في قول إبراهيم عن سارة إنها أختي يريد أنها أختي في الدين لا النسب كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ سورة الحجرات آية ١٠.

(٨) من رواية البخاري.

(٩) إن يعلم: لو عرف.

(١٠) يغلبني عليك: يأخذك مني ويأمرني بفراقك.

(١١) لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك: لم يكن في هذه البلدة من هو على الإيمان سوى إبراهيم وزوجه فالمراد بالأرض هنا الجزء أي القرية التي هما فيها، وإلا فإن لوطاً ومن معه كانوا مسلمين ولكنهم لم يكونوا في تلك القرية معهما.

فلما دخل [إبراهيم][12] أرضه [وبينما هو يسير][13] رآها بعض أهل الجبار أتاه فقال له: لقد قدِمَ أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك.

[إنه نزل ههنا [الليلة][14] رجل معه امرأة هي أحسن الناس، قال[15]: فأرسل إليه[16] [الملك أو الجبار][17].

فسأله عنها: [من هذه معك؟][18].

فقال: إنها أختي.

[قال: أرسل بها][19].

فلما رجع إليها قال: إن هذا سألني عنك فأنبأته[20] أنك أختي!! وأنه ليس اليوم مسلم غيري وغيرك وإنك أختي في كتاب الله فلا تكذبيني عنده][21].

فأرسل إليها فأُتي بها.

فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصَّلاة.

---

(١٢) الزيادة من رواية الإمام أحمد.

(١٣) من رواية أبي داود.

(١٤) من المسند للإمام أحمد.

(١٥) قال: الرسول ﷺ. هذا يدلك على أن الصحابي يؤكد في كل مناسبة على رفع الحديث إلى الرسول ﷺ ويبلّغه كما سمعه بأمانة ودقة.

(١٦) فأرسل إليه: طلب الملك من حراسه أن يستدعوا سيدنا إبراهيم للمثول أمامه.

(١٧) (١٨) (١٩) الزيادات من مسند الإمام أحمد.

(٢٠) أنبأته: أخبرت الملك.

(٢١) من رواية أبي داود.

[قال: فأقبلت توضأ وتصلي وتقول: اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا علىٰ زوجي فلا تسلط[٢٢] عليّ الكافر][٢٣].

فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها.

فَقُبِضَتْ[٢٤] يدُهُ قبضة شديدة.

فقال لها: ادعي الله أن يُطلق يَدِي ولا أضرُّكِ.

ففعلت[٢٥].

[قالت: اللهم! إن يَمُت يُقَل هي قتلته][٢٦].

فعاد[٢٧]،

فقبضت أشدّ من القبضة الأولىٰ،

فقال لها مثل ذلك[٢٨].

ففعلت.

فعاد.

---

(٢٢) تُسلط: تمكن.

(٢٣) من رواية أحمد.

(٢٤) فقبضت يده: شُلت يده وفي رواية عند أحمد (فغط حتىٰ ركض) أي أصابته نوبة حادة حتىٰ أخذ يضرب برجله الأرض من شدة الألم.

(٢٥) ففعلت: دعت السيدة سارة ربها أن يرفع عن الملك العذاب والألم وهي لم تدع له بأن يكشف الله السوء عنه إلا بعد أن وعدها بأن لا يمسها.

(٢٦) إن يمت يقل هي قتلته: قالت السيدة سارة في دعائها: اللهم! إن مات الملك فسيقول الناس والحراس إني قتلته وستكبر المشكلة فيارب ارفع عنه العذاب. والزيادة من مسند الإمام أحمد.

(٢٧) فعاد: لم يتعظ الجبار من الدرس الأول فكرر محاولته لارتكاب الفاحشة.

(٢٨) فقال لها مثل ذلك: قال لسارة ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك.

فقبضت أشد من القبضتين الأوليين.

فقال: ادعي الله أن يُطلِق يَدِي فلكِ الله أن لا أضرُّك[٢٩].

ففعلت.

وأُطلقت يدُهُ،

ودعا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطان[٣٠] ولم تأتني بإنسان فأخرجها من أرضي وأعطها هاجَر[٣١].

قال: فأقبلت تمشي،

فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف[٣٢] فقال لها: مَهْيَمْ[٣٣]؟

قالت: خيراً،

كف الله يَدَ الفاجر وأخدم خادماً[٣٤]. [رد الله كيد الكافر ـ أو الفاجر

---

(٢٩) فلك الله أن لا أضرك: أقسم الملك الجبار بالله أن لا يضرها.

(٣٠) نادىٰ الجبار أحد حاشيته ـ وهو الذي دلّه علىٰ ساره ووشىٰ بها إليه ـ فقال له: إن التي أغريتني بها شيطانة لا يقربها البشر، وذلك لما أصابه من الصرع، وهكذا يصف المتكبر آيات الله ومعجزاته بأنها من فعل الشيطان!!

(٣١) وأعطها هاجر: من خوفه قال لحاشيته أخرجوها وأعطوها هدية عظيمة وكانت تلك الهدية هي السيدة هاجر وذلك لكي تقوم بخدمة السيدة ساره رضي الله عنها.

(٣٢) انصرف: من الصلاة ليستطلع الخبر ويطمئن علىٰ زوجه سارة.

(٣٣) مهيم: ما الخبر؟ ماذا حدث؟

(٣٤) أخدم خادماً: «وهبني خادماً وهي هاجر. . والخادم يطلق علىٰ الذكر والأنثىٰ». . شرح مسلم للنووي جـ ١٥ ص١٢٥.

- في نحره، وأخدم هاجر][35].

قال أبو هريرة: فتلك أمُّكم يا بني ماء السماء[36].

متفق عليه[37].

* * *

---

(٣٥) هذه الزيادة من صحيح البخاري. رد الله كيد الكافر - أو الفاجر - في نحره «هذا مثل تقوله العرب لمن أراد أمراً باطلاً فلم يصل نفعه إليه» وعاد ضره عليه، انظر فتح الباري جـ ٦ ص٣٩٤. وورد في دعاء الخوف «اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم» النحر= أعلىٰ الصدر.

(٣٦) فتلك أمكم يا بني ماء السماء: فهذه أمكم وتلك هي قصتها يا معشر العرب، فهي أي السيدة هاجر أم إسماعيل عليه السلام «والمراد ببني ماء السماء العرب كلهم لخلوص نسبهم وصفائه وقيل لأن أكثرهم أصحاب مواش وعيشهم من المرعىٰ والخصب وما ينبت بماء السماء» شرح مسلم للنووي جـ ١٥ ص١٢٥.

(٣٧) واللفظ لمسلم الحديث ذكره البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ فتح الباري جـ ٦ ص٣٨٨. وذكره مسلم في صحيحه كتاب الفضائل انظر شرح النووي جـ ١٥ ص١٢٣. وأبو داود باب الطلاق جـ ٢ ص٢٦٤، وأحمد في مسنده انظر الفتح جـ ٢٠ ص٥٠.

ويستفاد من القصة:

١) «في المعاريض متسع عن الكذب[٣٨].

٢) قبول هدية المشرك ولقد قبل الرسول ﷺ مارية القبطية هدية من المقوقس صاحب الإسكندرية ومصر.

٣) إجابة الدعاء بإخلاص النية. وكفاية الرب لمن أخلص في الدعاء بعمله الصالح.

٤) ابتلاء الصالحين لرفع درجاتهم.. والابتلاء قد يكون ابتلاء صبر أوأجر أو فتنة أو عذاب.. حسب حال المبتلىٰ وقربه أو بعده من الدين.

٥) من أصابه أمر مهم من الكرب ينبغي له أن يفزع إلىٰ الصلاة ولقد كان من هدي النبي ﷺ أنه يفزع إلىٰ الصلاة إذا حزبه أمر..

٦) أن الوضوء كان مشروعاً للأمم قبلنا وليس مختصاً بهذه الأمة ولا بالأنبياء لثبوت ذلك عن سارة»[٣٩].

٧) «مشروعية أن يقال أخي في غير النسب ويراد به الأخوة في الإسلام»[٤٠].

---

(٣٨) راجع التنبيه الوارد في هذه القصة ولمزيد من التوسع راجع كتاب الأدب باب «المعاريض مندوحة عن الكذب» في صحيح البخاري.

(٣٩) فتح الباري جـ ٦ ص٣٩٤ باختصار وتصرف.

(٤٠) عمدة القاري جـ ١٥ ص٢٥٠.

٨) في هذه القصة كرامة واضحة للسيدة سارة ومعجزة للنبي الأمي ﷺ الذي ذكر هذه القصة بوحي من الله، وعلىٰ ذلك فجميع القصص النبوي في الموضوعات التاريخية والغيبية دليل إعجاز لهذا النبي الأمي ﷺ[٤١].

٩) «كلمة الخادم تطلق علىٰ الذكر والأنثىٰ».

١٠) في اتباع الشهوات تعطيل للعقل ألم تر أن الفاجر عندما عاهد السيدة سارة علىٰ ألا يمسّها قد نكث وخان العهد وعاد إلىٰ إضمار الشر، وفعل الفاحشة، رغم أنه شاهد وعاين العاقبة السيئة لفعله الحقير حيث شلت يده، وهكذا قلّما يتعظ الفاجر والمتجبر لأن هواه مولاه.

١١) الأدب الإسلامي يلتزم بالعفّة في التصوير والتعبير والتقرير فمهما كان الحدث دقيقاً حساساً فإن الكلمة الموزونة هي الأساس، والعبارة الملتزمة هي العمود، ولا سبيل للألفاظ المثيرة للغرائز، المبرزة للمفاتن لوصف موقف صارخ بعبارات هابطة.

١٢) المرأة العفيفة صورة رائعة تصنعها العقيدة الصحيحة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾[٤٢].

١٣) القصة المشوقة هي التي تترك الفراغات المناسبة والمساحات الخالية ليتممها السامع في مخيلته.

١٤) البطانة السيئة قرينة الرجل السيء.

---

(٤١) القاعدة في ذلك أن كل أمر خارق يظهر علىٰ يد النبيين فهو معجزة وكل أمر خارق يظهر علىٰ يد الصالحين فهو كرامة وكل أمر خارق يظهر علىٰ يد الفاسقين فهو استدراج.

(٤٢) سورة «المؤمنون».

١٥) النصر المحقق حليف المؤمن الصادق وأن العاقبة للمتقين.

١٦) حلاوة النصر لا تُنسِي المسلم ذكر فضل الله عليه في نصره أولاً وأخيراً.

١٧) حكم بعض الجبابرة مصر (في عهد ملوك الرعاة) وأشاعوا فيها الفساد الديني والاجتماعي والسياسي[٤٣].

١٨) عظيم ثقة إبراهيم ويقينه بعون الله عز وجل.

١٩) الكافر يوقن بوجود الله عز وجل والدليل أنه إذا وقع في البلاء وأيس من النجاة تضرع إلىٰ الله عز وجل يرجو رحمته ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[٤٤].

٢٠) عقيدة المسلم تقوم علىٰ أن النفع والضر بيد الله وحده وكيد سواه باطل، والقصة السابقة شاهد جميل لشرح هذا الحديث الشريف، عن أبي العباس عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، قال كنت خلف النبي ﷺ يوماً، فقال: «**يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام**

---

(٤٣) وفي لفظ «الملك» كما أشارت رواية أحمد ما يشير إلىٰ أن مصر «كانت تحت حكم (الرعاة) الذين سماهم المصريون (الهكسوس) كراهية لهم. إذ يقال أن معنىٰ الكلمة في اللغة المصرية القديمة (الخنازير. أو رعاة الخنازير) وهي فترة تمتد نحو قرن ونصف القرن..) راجع محمد زكي الدين ـ هذا القرآن ـ ص١٠١.

(٤٤) سورة العنكبوت.

وجفَّت الصحف» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح[٤٥].

٢١) فضل الصلاة والصبر وعلاقتهما التكاملية قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[٤٦].

تنبيه:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الكذب علىٰ الشخص حرام كله، سواء كان الرجل مسلماً أو كافراً، براً أو فاجراً، لكن الافتراء علىٰ المؤمن أشد، بل الكذب كله حرام.

ولكن تباح عند الحاجة الشرعية «المعاريض» وقد تسمىٰ كذباً، لأن الكلام يعني به المتكلم معنىٰ، وذلك المعنىٰ يريد أن يفهمه المخاطب، فإذا لم يكن علىٰ ما يعنيه فهو الكذب المحض، وإن كان علىٰ ما يعنيه ولكن ليس علىٰ ما يفهمه المخاطب فهذه المعاريض، وهي كذب باعتبار الإفهام، وإن لم تكن كذباً باعتبار الغاية السائغة. ومنه قول النبي ﷺ: «**لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات.. قوله لسارة: أختي، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا وقوله: إني سقيم**» وهذه الثلاث معاريض.

وبها احتج العلماء علىٰ جواز التعريض للمظلوم، وهو أن يعني بكلامه ما يحتمله اللفظ وإن لم يفهمه المخاطب. ولهذا قال من قال من العلماء: إن ما رخص فيه رسول الله ﷺ، إنما هو من هذا، كما في حديث أم كلثوم بنت عقبة عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس الكاذب بالذي يصلح بين الناس فيقول خيراً أو ينمي خيراً**» ولم يرخص فيما يقول الناس: أنه

---

(٤٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع.

(٤٦) سورة البقرة الآية ٤٥.

كذب، إلا في ثلاث: في إصلاح بين الناس، وفي الحرب، وفي الرجل يحدث امرأته. قال: فهذا كله من المعاريض الخاصة[٤٧].

ولهذا نفىٰ عنه النبي ﷺ اسم الكذب باعتبار القصد والغاية، كما ثبت عنه أنه قال: «**الحرب خدعة**» وإنه كان إذا أراد غزوة ورىٰ بغيرها. ومن هذا الباب قول الصديق في سفر الهجرة عن النبي ﷺ: هذا الرجل يهديني السبيل. وقول النبي ﷺ للكافر السائل في غزوة بدر «**نحن من ماء**» وقوله للرجل الذي خلف علىٰ المسلم الذي أراد الكافر أسره: إنه أخي. وعنىٰ أخوة الدين، وفهموا أخوة النسب فقال النبي ﷺ: «**إن كنت لأبرهم وأصدقهم، المسلم أخو المسلم**»[٤٨].

لطيفة:

المؤمن إنسان استوطن الإيمان في قلبه وأضاء النور في روعه فأحال خوفه أمناً، وليله نهاراً، وضيقه وعسره فرجاً وسعة، يستشعر معية الله في كل حين وفي كل مكان. في الأزمات يفرّ إلىٰ الله عزّ وجلّ، ويلوذ بحماه، ولأنه كان يحفظ حدود الله ولا يرتع في محارمه فإن الله عز وجل يحفظه وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان!!

إن سارة العفيفة في بيت النبوة تربت ـ ومن بيوتاتهم يخرج النور ـ قد

---

(٤٧) يمكنك الرجوع إلىٰ سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ ٢ ص٧٧، ص٧٨ لمزيد من التوسع.

(٤٨) مجموع الفتاوىٰ جـ ٢٨، ص٢٢٤. أثبتُ النص بالكامل لأهميته إضافة إلىٰ أن مثل هذه النصوص يصعب الإحالة عليها نظراً لضخامة كتبها وكثرة أجزائها مما يترتب عليه مشقة البحث فيها، وفي إيراد نصوص كهذه إحياء للتراث الدفين، والذي قد يكون حكراً علىٰ الباحثين والمهتمين من أولي الهمم العالية الذين يملكون الوقت الكافي والدراية المتعمقة.

ضربت لنا بقوة إيمانها وصدق يقينها مثالاً رائعاً خالداً صاغت فيه معاني الإيمان الرفيعة.

علمتنا أن كيد الطاغوت ضعيف سرعان ما يتقطع ويخنس أمام دعوة الحق.

علمتنا سارة العفيفة عقيدة المسلم كيف تكون!

عقيدة تقوم على التوحيد الخالص والثقة المطلقة والتوكل الدائم والتسليم بالقضاء، انظر إليها وهي تقفز حاجز القحط والجدب والجوع إلى حاجز السفر والمسير ثم ها هي ذي تعيش أصعب ساعات حياتها وأحرجها.. وقد أصبحت لقمة سائغة، وضحية بائسة لسلطان الجبار الذي غلّق الأبواب ووثب عليها.. إنها تلوذ بسلطان السماء وتطلق الرسالة، رسالة الرجاء والدعاء، نداء إلى من لا تأخذه سنة ولا نوم، تدعو العزيز القوى القادر القاهر، الذي يُجير ولا يجار عليه، الذي إذا دُعي أجاب وإذا سئل أعطى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[٤٩].

علمتنا سارة العفيفة عقيدتنا بصفائها ونقائها بوضوحها وبساطتها.

علمتنا ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[٥٠].

علمتنا ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٥١].

---

(٤٩) سورة النمل الآية ٦٢.

(٥٠) سورة الحج الآية ٣٨.

(٥١) سورة الأعراف الآية ٥٦.

علمتنا سارة العفيفة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٥٢].

علمتنا ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٥٣] وأن صلابة الإيمان تبيد الطغيان.

علمتنا أن الإيمان شطره صبر على البلاء وشطره الآخر شكر في الرخاء.

هذه هي عقيدتنا الغالية وتلك هي ثمارها اليانعة، راحة في البال وسكون في القلب، وإخلاص لا يشوبه الشرك أبداً.

* * *

(٥٢) سورة البقرة الآية ١٨٦.

(٥٣) سورة الشرح الآية ٦.

خاتمة :

بدأت القصة حينما هبت رياح البلاء والمحن من الشام ودفعت بإبراهيم عليه السلام وزوجه سارة إلىٰ الهجرة بحثاً عن الرزق والزاد، واشتدت الأزمة وكانت العاصفة القاصمة في مصر وفي قصر الملك الجبار ذلك الرجل الفاجر الذي راود سارة عن نفسها فاستعصمت بالله عز وجل فأنقذها وعند الله المخرج، فهو ولي المتقين، واندحر كيد الفاجر وعاد خاسئاً حسيراً بل أهدىٰ سارة خادمة هي هاجر أم العرب ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ (٥٤).

وفي القصة نماذج إيمانية حية تشرق في سماء المسلمين كي يقتدوا بها ويترسموا سبيلها.

والمسلم في القصة يشعر بعظمة الأنبياء ويقدّر ما عانوه من بلاء وشدة.. ثم يلمح الأسرة المسلمة سياجها العفة، وأساسها الإخلاص وسلاحها الدعاء والصبر والصلاة، ويعلم أن الابتلاء ضريبة الإيمان.

تعليق :

صلابة الإيمان تحطم الطغيان.

---

(٥٤) سورة الطلاق الآية ٢، ٣.

القصة الثانية

أحمق يخرق السفينة

الطفل الصغير إذا تُرك حبله علىٰ الغارب وأصبح بلا رقيب أو حسيب يردعه ويأخذ علىٰ يده فإنه قد يعبث بالكهرباء أو يشعل النار فيجلب المصائب من حيث لا يدري. شرر صغير يُحرق منزلاً بأكمله، إن الأطفال قليلوا الخبرة ما زال وعيهم محدوداً، ونظرهم كليلاً وعليه فمن الصعوبة بمكان أن يتصوروا أبعاد كل تصرف يصدر منهم في لعبهم أو عبثهم وما قد يترتب عليه من أضرار قد لا تشفع لهم البراءة وحسن القصد، وهو الأمر الذي يحتم علينا مزيد اهتمام بهم وعناية بتربيتهم إلىٰ أن تتوسع مداركهم فينتبهوا للأخطار المتوقعة، والأخطاء الفادحة.

والمجتمع الإنساني كذلك يتأثر سلباً وإيجاباً بتصرفات الأفراد فيه، إن خسائر جمة تتكبدها المجتمعات نتيجة تهور فرد، أو طيش شخص، وضيق الأفق وقصر النظر يقودان البعض إلىٰ التشبث بتصرفاتهم الخاطئة رغم مصادمتها للحقوق والآداب العامة، حتىٰ إذا قيل لهم لا تقودوا المجتمع إلىٰ الهاوية قالوا: إننا منقذون أو نحن أحرار.

إن هذه النوعية سوسة تنخر كيان المجتمع وعلىٰ الجماعة أن تتكاتف لتقف من هذه الأصناف موقفاً رادعاً حازماً منذ البداية، وإلا فإن الآراء السقيمة والمعوجة إذا تُركت وأهملت نمت وترعرعت، وحينئذ يصعب علاجها ويتعسر اقتلاعها!!

لا شك أن الخطر الداخلي والنابع من أفراد المجتمع وممارساتهم السيئة أشد فتكاً من جميع المخاوف الخارجية، ومواجهة الجماعة لانحرافات الأفراد فيها مسئولية ثابتة تفرضها سلامة الأسرة والدولة، وإذا كان الحَجْر الصحي ضرورة تمليها حياة الآخرين ووقايتهم من العدوىٰ، فإن الحَجْر الاجتماعي قد يصبح ضرورة تحتمها مصلحة الجماعة وحمايتها من الفوضىٰ.

وبين أيدينا حديث شريف يطوع المثال لصياغة قصة تربي المسلمين علىٰ المبادرة في مواجهة كل متجاوز يظن أنه حر في عمل ما يشاء وقول ما يريد وإن كان فيهما الهلاك المؤكد للآخرين.

تحكي قصة قوم لم يدركوا عاقبة تصرفاتهم المرتجلة، فبينما تسير بهم السفينة في ثبج البحر إذ قام بعضهم بثقب أسفلها لينتفعوا بماء البحر بأيسر الطرق وأسرعها، ولم يدركوا أن هذا العمل الأحمق فيه هلاك محقق لجميع من في السفينة، وأن السكوت عن هذا العبث فيه نهاية للسفينة ومن فيها.

* * *

عن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما* - عن النبي ﷺ أنه قال:

مثل القائم[1] علىٰ حدودِ الله والواقع[2] فيها:

كمثل قوم استهموا[3] علىٰ سفينة [في البحر]،
فأصاب بعضُهم أعلاها[4].
و[أصاب بعضُهم أسفلها [وأوعرها][5]][6].
فكان الذي في أسفلها إذااستقوا[7] من الماء مَرُّوا علىٰ من فَوقهم [فتأذوا به]،
[وفي رواية: فكان الذين في أسفلها يصعدون فيستقون الماء، فيصبون علىٰ الذين في أعلاه،
فقال الذين في أعلاها: لا نَدَعَكم تصعدون فتؤذوننا]،

---

* ترجمة راوي القصة (النعمان بن بشير الأنصاري ٢ هـ - ٦٤) صحابي هو وأبوه وأمه. وهو أول مولود من الأنصار بعد الهجرة روىٰ عن رسول الله ﷺ (١١٤) حديثاً استعمله معاوية والياً علىٰ حمص ثم علىٰ الكوفة، كان كريماً جواداً، شاعراً رضي الله عنه. قتل بالشام. انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي ج ٢ ص١٢٩.

(١) القائم= المحافظ علىٰ أوامر الله المطيع لها.

(٢) الواقع وفي رواية الراتع= المرتكب للمعصية الواقع في حدود الله عز وجل.

(٣) استهموا= عملوا قرعة فيما بينهم لتحديد أماكنهم من السفينة حتىٰ لا يتنازعوا.

(٤) فكان نصيب البعض بعد القرعة في الطابق العلوي ونصيب البعض الآخر الطابق السفلي من السفينة.

(٥) أوعرها= أصعبها وأشدها صلابة.

(٦) ما بين القوسين المعقوفين= من رواية أخرىٰ.

(٧) استقوا= إذا أراد أحدهم أن يجلب الماء لقومه آذىٰ من استقر في الطابق الأعلىٰ.

فقالوا: لو أنّا خرقْنا في نصيبنا خرقاً [فاستقينا منه]
ولم نؤذِ من فوقنا،
[ولم نمر علىٰ أصحابنا فنؤذيهم]،
فأخذ[٨] فأساً فجعل ينقر[٩] أسفل السفينة،
فأتوه فقالوا مالك؟
قال: تأذيتم بي، ولا بد لي من الماء]،
فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً،
وإن أخذُوا علىٰ أيديهم نَجَوْا ونَجَوْا جميعاً.

رواه البخاري[١٠].

* * *

---

(٨) أحدهم.
(٩) ينقر= قام أحدهم بثقب وخرق أسفل السفينة.
(١٠) ذكره في كتاب الشركة باب هل يقرع في القسمة؟ والاستهام فيه، وأيضاً كتاب الشهادات باب القرعة في المشكلات (الفتح ج ٥ ص٢٩٢). جميع الزيادات في الحديث صحيحة راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ١ ص١٠٨ رقم الحديث ٦٩.

ويستفاد من القصة:

١) ضرب الأمثلة القصصية من أساليب التربية النبوية الكريمة، وهو أسلوب تربوي فعال يسرح فيه الخيال لخدمة الواقع.

٢) ضرورة تربية الفرد على التفاني في خدمة المصالح العامة، وتنمية الشعور الجمعي فيه.

٣) متابعة تحركات المفسدين ومقارعة فسادهم بالعمل الجماعي الموحد.

٤) المفسد يعاني من ضيق الأفق وقصر النظر فهو لا يدرك حقيقة تصرفه وعواقب عمله.

٥) السكوت عن المنكر شر مستطير يحيق جرمه بالمجتمع كله والهلاك يشمل المفسد والصالح الساكت عنه ويدل عليه أيضاً ما رواه الشيخان عن أم المؤمنين زينب بنت جحش - رضي الله عنها - أنها سألت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث.

٦) المفسدون سبب دمار المجتمعات وهلاك الأمم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾[11]

٧) المجتمع يمثل وحدة عضوية مترابطة أو كما وصف الرسول ﷺ المؤمنين بقوله: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[12] وجدير

---

(١١) سورة الكهف الآية: ٥٩.

(١٢) رواه مسلم وأحمد.

بعلماء الاجتماع أن يتشبثوا بشيء من أذيال هذه الأقوال النبوية حتىٰ يفهموا طبيعة المجتمعات وعوامل التغيير والتأثير فيها.

٨) «أي خطأ يقع فيه الإنسان ولو بدون قصد الإضرار هو خرق خطير في سلامة المجتمع.

٩) حرية الإنسان ليست مطلقة بل مقيدة بضمان حقوق الناس من حوله وضمان مصالحهم.

١٠) قد يتصرف بعض الناس بما يضر المجتمع بدافع اجتهاد خاطىء ونية حسنة، فيجب منعهم وتبصيرهم بنتائج ما يفعلون»[١٣].

١١) «طريقة القصص النبوي في تصوير الحوار تقوم علىٰ أساس الرواية فتحكي القصة أقوال الأشخاص مصدرة بكلمة «قال أو قالا أو قالوا» وهذا التصدير يلفت ذهننا إلىٰ أمر خاص بالحوار في القصص النبوي أنه ليس من اللازم أن يقوم الحوار بين اثنين فقد يكون بين كثرة»[١٤].

١٢) استخدام المناظر الطبيعية في ضرب الأمثلة التعليمية لأنها قريبة من النفس، ومحسوسة.

١٣) مشروعية القرعة لفصل النزاع وهذا في حال استواء الحقوق، قال الإمام الشافعي رحمه الله: «فلا تكون القرعة والله أعلم إلا بين قوم مستوين في الحجة وكان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها»[١٥].

---

(١٣) نزهة المتقين ج ١ ص٢١١ باختصار وتصرف.

(١٤) القصص النبوي - السيد شحاته - السيد تقي الدين - ص١٥.

(١٥) انظر الأم للشافعي ج ٨ ص٣ وأيضاً ج ٥ ص١١١.

تنبيه:

من المزالق المهلكة ما تزينه النفس ويلجأ إليه المثبطون المتكاسلون في استشهادهم الخاطىء بقوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾[16].

فيضعون هذه الآية الكريمة في غير موضعها ويقولون للداعية، اصلح نفسك واترك غيرك.. ! لا تنكر علىٰ الأشرار شرهم وفجورهم.. دعهم يخوضوا ويلعبوا.. ما أنت عليهم بوكيل.. لو شاء الله لهداهم.. عليك بخاصة نفسك..

وفي هذا الفهم القاصر نسف تام لأركان هذه الأمة التي تقوم علىٰ قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾[17].

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[18]، أما المراد بقوله عز وجل: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ «لا يضركم ضلال من ضل إذا أنتم لزمتم العمل بطاعة الله، وأدّيتم فيمن ضل من الناس ما ألزمكم الله به فيه، من فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يركبه أو يحاول ركوبه، والأخذ علىٰ يديه إذا رام ظلماً لمسلم أو معاهد ومنعه منه فأبىٰ النزوع عن ذلك، ولا ضير

---

(١٦) سورة المائدة الآية: ١٠٥.

(١٧) سورة آل عمران الآية: ١١٠.

(١٨) سورة التوبة الآية: ٧١.

عليكم في تماديه في غيِّه وضلاله، إذا أنتم اهتديتم وأديتم حق الله تعالىٰ فيه»[19].

فيا أيها المسلم اصلح نفسك وادعُ غيرك، وكن وتداً للحق وسنداً للخير، ادع إلىٰ ربك كما أمر ومن أعرض بعد ذلك فلن يضرك ضلاله ولن تحمل أوزاره. إن سفينة المجتمع تسير بمجادف التناصح وأشرعة الإصلاح، وبهما تمخر عباب البحر راشدة، وتجوب فيها مطمئنة، وإلا تتقاذفها الأمواج، أمواج الأهواء والمنافع، وتلعب بها رياح الشقاء وحينها يدفع الضريبة كل من كان علىٰ ظهر السفينة، يدفع الضريبة من نفسه وماله وولده وبلده.. ثم الخسران المبين يوم الدين.

لطيفة:

المثال يُقرب الحقائق المجردة للأذهان ويضيف للفكرة إشراقة موحية في الوجدان، من روعة في التأثير والنظر، وبهجة في الحركة والنشاط وهي تتراقص في العقل، وآفة السرد والإلقاء جفاف الطرح وجمود العرض ورتابة الانطلاق، ومن شأن المثال السديد أن يُبسط الموضوعات ويثريها، والمثال بعد ذلك كله جمال وزينة للكلام، وتمام حسن وجلاء للمعاني.

وفي القصة السابقة تصوير فني دقيق وتشبيه بلاغي رائع، يتقاصر الوصف عن سرده أو الإحاطة بكل جوانبه وحسبنا بهذه الأضواء المنبعثة من تلك اللوحة الجميلة الدقيقة في التشبيه. ففي المثال شبه الرسول ﷺ حياة الإنسان بالمسافر علىٰ الفلك وهو مطابق لحقيقة وطبيعة الحياة.

فالمسافر يحرص علىٰ حمل الضروريات من الحاجيات.. والمسافر يعلم

---

(١٩) تفسير الطبري جـ ١١ ص١٥٢.

أنه أينما حل ونزل إنما هو عابر سبيل.. مُفارق عن قريب.

ومجتمع السفينة مجتمع متكاتف متعاطف، متراحم متلاحم.. ولا تستقيم الحياة الاجتماعية إلا بذلك.

والسفينة تتعرض لعقبات داخلية وخارجية.. من عواصف عاتية ورياح مفاجئة وهكذا حياة الإنسان المسلم في مجتمعه معرضة لصنوف البلاء وكذا السفن تهتدي بمواقع النجوم في الفضاء، والمسلم يقتدي بتعاليم الله في السماء، والسفينة في البحر ورقة صغيرة تعبر نهراً عظيماً، والإنسان في هذه الحياة ذرة تسبح في أجواز الكون، كلاهما صغير ضعيف بحاجة إلىٰ عون الإله ولطفه. إن هذه الأنوار التي تشع وتسطع من كلام النبي ﷺ تدل علىٰ سمو وعلو بيانه، وهو الذي أخذ بناصية الفصاحة، وحلّق في ذُرىٰ البلاغة، فأين الذائق الفهم والراغب النهم، ينهل منه ويذود عنه؟!!

* * *

خاتمة:

انطوت هذه القصة التمثيلية الهادفة على معان كثيرة، أجلّها وأعظمها: أن الإصلاح وظيفة اجتماعية وضرورة حياتية لا تقل أهميتها عن تنفس الهواء وشرب الماء إن لم تزد. ويقرر الحق سبحانه وتعالى مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقول في محكم التنزيل: وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ»[٢٠]. ووالله إنه لقسم عظيم لو كانوا يعملون!!

فالدعاة سر الحياة ورمز البقاء، معهم شمس الرسالة الإسلامية الغراء، وهم الروح الذي يسري في جسد المجتمع ويمده بأنفاس السعادة، فهل يعقل الحكام هذه الحقيقة فيحافظوا على الدعاة ثروة البلاد!!

تعليق:

يقول الأستاذ الرافعي: «وقفت عند هذا الحديث فكان له في نفسي كلام طويل عن هؤلاء الذين يخوضون معنا البحر ويسمّون أنفسهم بالمجددين، وينتحلون ضروباً من الأوصاف كحرية الفكر والبحث والنشر والعمل.. ولا يزال أحدهم ينقر موضعه من سفينة ديننا وأخلاقنا وآدابنا بفأسه وقلمه وقراراته وأعماله.. زاعماً أنه موضعه من الحياة الاجتماعية يصنع فيه ما يشاء، ويتولاه كيف أراد، موجهاً بحماقته وجوهاً من المعاذير والحجج، من المدنية والحداثة والفلسفة والحرية.. إن كلمة (الخرق) لا تحمل في السفينة معناها الأرضي، وهنا لفظة (أصغر خرق) ليس لها إلا معنىً واحد هو أوسع قبر»[٢١].

---

(٢٠) سورة العصر.

(٢١) وحي القلم جـ ٣ ص٧ بتصرف.

وبعبارة أخرىٰ: «نحن في مجتمعنا ركاب سفينة واحدة، والذين يتجاوزون حدود الله يريدون صدع السفينة وبذلك يهلكون غيرهم، ومن الحمق والسفاهة أن يقول قائل دعوهم مالكم ومالهم، لكل إنسان حريته، علينا أن نكون (ديمقراطيين)، لا يجوز أن نحجر علىٰ عقول الناس وأعمالهم، من يقول ذلك لا شك في حمقه، وسيعلم أنه أحمق عندما يندفع الماء من حيث أفسد المفسدون، فيجدون أنفسهم في لجة البحر، حيث لا يسمع صريخهم سامع، ولا ينقذهم منقذ عند ذلك يعلمون أن ما فعله أولئك لم يكن حرية، بل هو فساد وكان الواجب الأخذ علىٰ أيدي المفسدين»[٢٢].

(٢٢) د. عمر سليمان الأشقر ـ جولة في رياض العلماء وأحداث الحياة ـ ص٦٥.

القصة الثالثة:

أبي الإسلام لا أب لي سواه

على المسلم أن يعرف نسبه حتى يصل رحمه، ويؤدي واجبه تجاه قرابته، وفي الحديث عن سيد ولد عدنان محمد بن عبدالله ﷺ قال: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر**»[1].

أما أن يفتخر المرء بنسبه فهو منطق أعوج يرفضه القياس العقلي السليم والميزان الشرعي القويم، لأنه يحول دون العمل الصالح ويُؤصل في المجتمع النزعات العصبية المقيتة التي تهدد وحدة الأمة وتماسك أفرادها، وتورث فيهم النزاع والشقاق، والأنانية المدمرة.

وكانت حكمة الله البالغة في أن جعل الله الناس من أب واحد وأم واحدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2].

بينما رسول الله ﷺ يسير في طرقات المدينة ذات يومٍ إذ به يفاجأ بمشاجرة بغيضة بين رجلين يقول أحدهم للآخر بعزة وكبرياء: أنا خير منك فنسبي خير من نسبك!!

---

(١) رواه الإمام أحمد.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٣.

فيُجيب الآخر مغاضباً: بل نحن الأنوف وأنتم الذَنَب، ونحن الشرفاء وأنتم الدخلاء اللقطاء!! إن نسبي أعلىٰ من نسبك، ثم أخذ كل منهم يعدد أجداده، وأسلافه.. أنا فلان بن فلان بن فلان سيد قومه..

هنا احمر وجه النبي ﷺ وهو يرىٰ ويسمع النعرة الجاهلية النتنة الخبيثة تتحكم بعقل الرجلين!!

والرسول ﷺ معلم حاذق يعلم أن الدرس الأمثل لهذا الموقف لن يكون عبر موعظة بليغة فإن النفوس مشحونة بالشر وهي أبعد ما تكون عن قبول النصيحة أو الاستماع إلىٰ موعظة رنانة، ولكن في القصة الدواء النافع الناجع، فقص عليهما قصة قصيرة شبيهة جداً بمشاجرتهما، ليعرف كل منهما جُرمه وفداحة تصرفه، حينما تناديا بآصرة العصبية، وجعلها كل منهما مناط التفاضل والتفوق.

* * *

عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه* قال: انتسب[٣] رجلان علىٰ عهد رسول الله ﷺ.

فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان، فمن أنت لا أم لك[٤]؟!

فقال رسول الله ﷺ: انتسب رجلان علىٰ عهد موسىٰ عليه السلام، فقال أحدهما: أنا فلانُ بنُ فلانٍ حتىٰ عدَّ تسعةً[٥]، فمن أنتَ لا أمَّ لك.

قال: أنا فلانُ بن فلانٍ، ابن الإسلامِ[٦]،

قال[٧]، فأوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ عليه السلام أن قُلْ لهذين المنتسبَين: أمَّا أنت أيها المنتمي أو المنتسبُ إلىٰ تسعةٍ في النار، فأنت عاشرهُم[٨].

وأما أنت يا هذا المنتسب إلىٰ اثنين في الجنة، فأنت ثالثهما في الجنة.

رواه أحمد[٩].

---

* ترجمة راوي القصة أبي بن كعب (؟ - ٢١هـ) صحابي أنصاري كان من كتاب الوحي شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. شارك في جمع القرآن، له في الصحيحين وغيرهما (١٦٤) حديثاً قال عنه الرسول ﷺ: «أقرأ أمتي أبي بن كعب». انظر الموسوعة الفقهية ج ٣ ص٣٤٩.

(٣) انتسب= ذكر نسبه.

(٤) لا أم لك= «هو ذم وسب، أي أنت لقيط لا تُعرف لك أم» النهاية في غريب الحديث.

(٥) عدّ تسعة: من آبائه وأجداده.

(٦) افتخر بالإسلام نسباً.

(٧) الرسول ﷺ.

(٨) كان أجداده من أهل النار وهو بفعله أصبح معهم.

(٩) المسند ج ٥ ص١٢٨ صحيح الجامع الصغير رقم الحديث ٣١٢.

ويستفاد من القصة:

١) الافتخار بالأنساب مرض اجتماعي وآفة نفسية، تفكك أواصر المحبة، وتزرع الحقد والحسد والشقاق بين الناس.

٢) ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[١٠] فكما أن الرب واحد في السماء فكذلك العقيدة واحدة في الأرض.

٣) الترهيب من الافتخار بالنسب والاعتداد به، قال رسول الله ﷺ: «كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب. ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان»[١١]. وقال ﷺ في ذم العصبية الجاهلية: «دعوها فإنها منتنة»[١٢]. وقال: «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[١٣].

٤) انتماء المسلم الحقيقي هو الانتماء والولاء والحمية للإسلام ومدرسته الخالدة وما أروع قول الشاعر وهو يحلق في آفاق الإيمان وأجواء الإسلام:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

وعلى خطاه ينسج القرضاوي قائلاً:

لا تسل عن عنصري عن نسبي إنه الإسلام أمي وأبي

---

(١٠) سورة آل عمران الآية ١٩.

(١١) الجعلان= حشرة تشبه الخنفساء.

(١٢) رواه مسلم.

(١٣) رواه أبو داود والترمذي ومسلم.

إن المؤمن لا يتكل علىٰ الحسب ولا يعتز بغير الإسلام الذي شرفنا الله به وليس بعد الحق إلا الضلال المبين.

٥) من أسباب نزول الوحي علىٰ النبي، معالجة الأخطاء وتثبيت الحقائق وتصحيح المسار.

٦) جاءت الرسالات السماوية لتحطم النزعات العصبية، ولقد كان الرسول ﷺ رغم نفاسة نسبه وكريم محتدة[١٤] ينهىٰ الناس عن الافتخار بالأنساب.

٧) كان الرسول ﷺ قريباً من حياة الناس ومنازعاتهم اليومية، يصوِّب أخطاءهم ويقيم اعوجاجهم، ويردهم إلىٰ جادة الصواب، وفي ذلك قضاء علىٰ الفتنة في مهدها، وهكذا يجب أن يكون الراعي مع رعيته في حل معضلاتهم ومشكلاتهم، رفيقاً حليماً، رقيقاً حكيماً.

٨) كان الرسول ﷺ يروي القصة حسب حاجة الناس لها وضرورة موضوعها وواقعيتها في حل المنازعات والإشكالات التي قد تحدث أمامه فيعالجها برواية القصة المناسبة.

٩) الإخبار عما جرىٰ للأمم الماضية ليعتبر السامعون.

١٠) فطانة[١٥] الرسول ﷺ ورجاحة عقله في معالجة المشكلات واستئصال شأفة الخصام بين الطرفين المتنازعين بحكمة وروية.

---

(١٤) محتده = أصله.

(١٥) فائدة: من أهم صفات الرسل الكرام: العصمة، الفطانة، الصدق، الأمانة، التبليغ..

لطيفة:

نلاحظ في أغلب القصص النبوي أن الرسول ﷺ يرخي ستاراً كثيفاً علىٰ أسماء الشخصيات في القصة.

والعبرة دائماً بدلالات القصة لابشخصياتها أو مكانها أو زمانها.

والصحابة رضوان الله عليهم أكمل الناس وأعقلهم، اختارهم الله عز وجل لصحبة خير البشر والله أعلم حيث يضع رسالته، لقد وعىٰ الصحابة ذلك الأدب الرفيع في رواية القصة، ونرىٰ في صدر القصة التي بين أيدينا كيف أهمل الصحابي ذكر اسمي الرجلين اللذين جرت لهما الواقعة في العهد النبوي.

* * *

خاتمة:

«عقيدة المؤمن هي وطنه، وهي قومه، وهي أهله.. ومن ثم يتجمع البشر عليها وحدها، لا علىٰ أمثال ما تتجمع عليه البهائم من كلأ ومرعىٰ وقطيع وسياج!

والمؤمن ذو نسب عريق، ضارب في شعاب الزمان. إنه واحد من ذلك الموكب الكريم، الذي يقود خطاه ذلك الرهط الكريم: نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ويعقوب ويوسف، وموسىٰ وعيسىٰ، ومحمد.. عليهم الصلاة والسلام.. ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾[16] [17].

---

(١٦) سورة «المؤمنون» الآية ٥٢.

(١٧) في ظلال القرآن جـ ١ ص١٢.

القصة الرابعة

نبي يطلب العلم !!

موسىٰ عليه السلام كليم الرحمن من كوكبة أولي العزم في سماء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حياته ـ كحياة سائر الأنبياء ـ محفوفة بصنوف المحن، وألوان الفتن، سجّل القرآن أغلب وقائعها ودقائقها، ونقل الرسول ﷺ معظم ملاحمها وملامحها، إن حياتهم حافلة بالكفاح موّارة بالحركة مزدحمة بالأحداث، وهي طبيعة الدعوة، ونهج الإصلاح.

عاش سيدنا موسىٰ في مصر والطغيان يدك أركانها، والبطش ينتشر في ربوعها، والإرهاب ينخر بنيانها، وتسلط فرعون علىٰ بني إسرائيل فأخذ يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، ولكن إرادة السماء أنقذت موسىٰ عليه السلام، وذلك بأن أوحىٰ الله عز وجل إلىٰ أم موسىٰ بهذا الأمر ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾[1].

فعاش حراً كريماً في كنف فرعون وترعرع عزيزاً مكرماً في قصره برعاية آسية بنت مزاحم ورضاعة أمه، وعندما شبّ الغلام واشتدّ عوده وقوي ساعده تورط في قتل قبطي فهرب خائفاً ولاذ بأرض مدين وهنالك اشتغل برعي الغنم كما تزوج من أهل مدين ثم عاد إلىٰ موطنه وفي طريقه آنس ناراً ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ

---

(١) سورة طه: الآية ٣٩.

هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿٢﴾ وأمره أن يذهب إلىٰ فرعون ليدعوه. . وبدأ موسىٰ عليه السلام رحلة التبليغ في مصر وواجه السحرة فغلبهم ودحر كيدهم. . ثم كان هلاك فرعون وجنوده في البحر، عندما نجىٰ الله موسىٰ وقومه من الغرق، وذهب موسىٰ بأمر ربه إلىٰ طور سيناء وتلقىٰ الألواح وعاد إلىٰ قومه فوجدهم قد ارتدوا وعبدوا العجل، وعاقبهم الله بالتيه والضلال في صحراء سيناء أربعين سنة عقوبة لهم علىٰ عصيان أمر نبيهم. . وفي هذه الفترة جرت ووقعت أحداث مذهلة.

ومن بين تلك الأحداث الصاخبة كانت هناك رحلة تربوية عظيمة تتلمذ فيها موسىٰ بن عمران علىٰ يد الرجل الصالح «الخضر» عليهما السلام[٣].

وهي قصة عجيبة فريدة في موضوعها وأغراضها، ذات سمت ووقع مميز مشوق. المكان مجهول. . وأغلب الأسماء في غاية الغموض.

وهي قصة غريبة كسائر قصص ومواقف موسىٰ الكليم والتي قد ساقها القرآن الكريم، بل قد تنفرد في كونها ذُكرت متكاملة ولمرة واحدة في مكان واحد وذلك في سورة الكهف، كما حرص الرسول ﷺ علىٰ أن يسردها بأسلوبه البليغ ويشرحها بأحاديثه الشريفة.

---

(٢) سورة طه.

(٣) الخضر نبي أو رجل صالح وولي تقي أنعم الله عليه بالمعرفة وأجرىٰ علىٰ يديه بعض الخوارق والكرامات كما حباه الله ببعض العلم اللدني المتعلق بالأمور الغيبية.

عن أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه* أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول[٤]:

إنَّ موسىٰ قام خطيباً في بني إسرائيلَ.
[يُذكِّرُهم بأيَّام الله، وأيامُ الله نعماؤُهُ وبَلاؤُه][٥]
[حتىٰ فَاضت العيون ورقّت القلوب وَلَّىٰ][٦]
فَسُئلَ: أيُّ الناس أعلمُ[٧]؟
فقال: أنا [أعلمُ][٨].

---

* ترجمة راوي القصة في بداية القصة الثالثة.

(٤) الحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب (فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً، رقم الحديث (٤٧٢٦) (٤٧٢٧) (ص٤٠٦) جـ٨ فتح الباري).
الطريق الأول عن سفيان عن عمرو بن دينار والثاني عن طريق يعلىٰ بن مسلم والذي بين أيدينا هنا نص حديث عمرو بن دينار.

(٥) هذه الزيادة في صحيح مسلم انظر شرح مسلم للنووي ١٥/١٤٢.
وفي مثل هذا المعنىٰ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ سورة إبراهيم الآية «٥».

(٦) من رواية البخاري عن طريق يعلىٰ بن مسلم. ولىٰ= انصرف بعد أن فاضت العيون بالدمع إثر الموعظة المؤثرة.

(٧) وفي رواية البخاري عن يعلىٰ بن مسلم «فأدركه رجل فقال: أي رسول الله، هل في الأرض أحدٌ أعلم منك؟ قال: لا.» «فأوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ: بل عبدنا الخَضِرُ. فسأل موسىٰ السبيل إلىٰ لقيه، فجعل الله له الحوت آية وقيل له: إذا فقدت الحوت، فارجع فإنك تلقاه» الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج ١ ص٣٠٥.

(٨) الزيادة عند مسلم والترمذي.

فعتَبَ الله عليه إذ لم يَرُدَّ العلمَ إليه[٩]،
فأوحىٰ الله إليه: إنَّ لي عبداً بمَجمَع البحرَين[١٠] هو أعلمُ منك.
قالَ موسىٰ: يا ربِّ فكيف لي به؟
قال: تأخذُ معك حُوتاً[١١] فتجعله في مِكتلٍ[١٢]،
فحيثما فقدتَ الحوتَ فهو ثمَّ[١٣] [فارجع فإنك تلقاه][١٤]
فأخذَ حُوتاً فجعلهُ في مِكتلٍ ثم انطلَقَ،
وانطلقَ معه فتاهُ[١٥] يوشَعَ بن نون،
حتىٰ إذا أتيا الصخرة وضعا رُءُوسَهُما فناما[١٥]،
واضطربَ[١٦] الحوتُ في المِكتل فخرجَ منه فسقطَ في البحر، فاتخذ سبيلهُ في البحر سرَباً[١٧]،

---

(٩) المفروض أن يقول: الله أعلم، فلما لم يَرُدَّ العلم لله عتب الله عليه.
(١٠) ليس هناك نص صحيح صريح في تحديد هذا المكان.
(١١) الحوت= السمكة.
(١٢) المكتل: «زنبيل يعمل من الخوص يُحمل فيه التمر وغيره» المعجم الوسيط.
(١٣) ستجد الرجل الصالح في المكان الذي تفقد فيه السمكة فعندما يُحيي الله عز وجل الحوت الميت ويعود إلىٰ البحر تجد صاحبك هنالك.
(١٤) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج ١ ص٣٠٥.
(١٥) فتاه= صاحبه الصخرة التي عند مجمع البحرين ناما في ظلها.
(١٦) اضطرب: تحركت السمكة وسارت إلىٰ البحر.
(١٧) فاتخذ سبيله في البحر سرباً= وثب إلىٰ البحر وشق طريقه وتبقت آثار جريته في البحر كأن أثره في حجر لا يُمحىٰ أو كأن الماء قد تجمّد فور سقوط السمكة فيه.

وأمسكَ الله عن الحوتِ جرْيةَ[١٨] الماءِ فصار عليه مثل الطَّاقِ[١٩].
فلما استيقظَ نَسيَ صاحبهُ أن يخبرَهُ بالحوت،
فانطلَقَا بقيةَ يومِهما ولَيلتِهما،
حتىٰ إذا كان من الغد قال موسىٰ لفتاه: آتِنا غداءَنا لقد لقينا من سفرِنا هذا نصباً[٢٠].
قال: ولم يجد موسىٰ النَّصَبَ حتىٰ جاوزا المكانَ الذي أمرَ الله بهِ، فقال له فتاهُ؛ أرأيتَ إذ أوَينا إلىٰ الصخرة فإني نسيتُ الحوتَ وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكُرَه[٢١]
واتخذ سبيلهُ في البحر عجباً.
قال: فكان للحوت سَرباً، ولموسىٰ ولفتاه عجباً[٢٢].
فقال موسىٰ: ذلك ما كنّا نبغ[٢٣].
فارتدا علىٰ آثارهما قصصا[٢٤]،
قال: رجعا يَقُصّان آثارهما حتىٰ انتهيا إلىٰ الصخرة، [فأراه مكان الحوت،

---

(١٨) جرية الماء= جريانه وتحركه.
(١٩) الطاق= «ما عطف من الأبنية أي جُعل كالقوس من قنطرة ونافذة وما أشبه ذلك» والمراد هنا أن المكان الذي وقع فيه الحوت جمد الماء حوله فأثر سقوط الحوت ما زال بارزاً علىٰ سطح الماء يُرىٰ ويُشاهد.
(٢٠) النصب= التعب.
(٢١) أنساني الشيطان أن أذكر لك قصة الحوت.
(٢٢) كان عجباً لهما لأنه حوت ميت يحيا ثم يثب إلىٰ البحر ويترك أثر جريته في الماء!!
(٢٣) ذلك ما كنا نبغ= هذا ما نطلبه ونسعىٰ إليه فإن الرجل الذي نريده (الخضر) عند الصخرة.
(٢٤) فارتدا علىٰ آثارهما قصصاً= فرجعا إلىٰ طريقهما الذي سلكاه يتّبعان آثارهما اتباعاً حتىٰ انتهيا إلىٰ مكان الحوت وهذا يدل علىٰ أن يوشع لم يخبر موسىٰ حتىٰ سارا زماناً، إذ لو أخبره أول ما استيقظ لما احتاجا إلىٰ اقتفاء آثارهما.

قال: ههنا وُصِفَ لي. فذهب يلتمس][25] [26]

فإذا رجُلٌ مُسجًّى[27] ثوباً، [مستلقياً علىٰ القفا][28].

فسلم عليه موسىٰ [السلام عليكم][29].

فقال الخضر: وأنّىٰ[30] بأرضك السَّلام؟

قال: أنا موسىٰ.

قال: موسىٰ بني إسرائيل؟

قال: نعم، أتيتك لتُعلِّمني مما علمت رشداً[31].

قال: إنكَ لن تستطيع معي صبراً!!

[وكيف تصبر علىٰ ما لم تحط به خبراً؟][32].

[أما يكفيك أن التوراة بيدك وأن الوحي يأتيك؟][33].

يا موسىٰ إني علىٰ علمٍ من علم الله علَّمنيهِ لا تعلَمهُ أنت، وأنت علىٰ علم من علم الله علَّمكَ الله لا أعلمهُ[34].

---

(٢٥) يلتمس= يبحث.

(٢٦) من رواية لمسلم، النووي جـ ١٥ ص١٤٣.

(٢٧) المسجىٰ= المغطىٰ.

(٢٨) من رواية مسلم. قفاه= كان الخضر نائماً علىٰ ظهره.

(٢٩) من رواية مسلم.

(٣٠) وأني بأرضك السلام= من أين يأتي السلام في هذه الأرض التي لا يعرف أهلها السلام والأمان. «وأنىٰ تأتي بمعنىٰ أين ومتىٰ وحيث وكيف» النووي شرح صحيح مسلم جـ ١٥ ص١٤٠.

(٣١) مما علمت رشداً= هو العلم النافع.

(٣٢) هذه الزيادة من صحيح الترمذي ومسلم.

(٣٣) هذه الزيادة للبخاري من طريق يعلىٰ بن مسلم.

(٣٤) علم الخضر مرتبط بمعرفة بعض الغيب مما أذن له ربه بمعرفته أما علم موسىٰ مرتبط بالأحكام الشرعية والعبارة تشير إلىٰ أن الخضر لا يستطيع أن يدرك علم موسىٰ بأكمله وليس لموسىٰ أن يدرك علم الخضر بأكمله.

فقال موسىٰ: ستجدُني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً.
فقالَ له الخَضِر: فإنِ اتَّبعتَني فلا تسألني عن شيء حتىٰ أحدِثَ لك منه ذِكراً[٣٥].
فانطلقا يمشيان علىٰ ساحل البحر،
فمرَّت سفينة،
فكلموهم أن يَحمِلوهم،
فعرَفوا الخضِرَ فحملوهُ بغير نول[٣٦].
فلما رَكِبا في السفينةِ لم يَفْجَأ إلا والخَضِرُ قد قلعَ لوحاً من ألواحِ السفينةِ بالقدوم[٣٧].
فقال له موسىٰ: قومٌ حملونا بغير نَولٍ،
عمدت إلىٰ سَفينتهم فَخَرَقتَها لُتغرِقَ أهلها!!
لقد جئت شيئاً أمراً[٣٨]!!
قال: ألم أقلْ لكَ إنك لن تستطيعَ معيَ صبراً؟[٣٩]
قال: لا تُؤاخذني بما نسيتُ، ولا ترهقني من أمري عُسراً[٤٠].
قال: وقال رسول الله ﷺ: وكانت الأولىٰ من موسىٰ نِسياناً.

---

(٣٥) أي إن أردت اتباعي والإستفادة من علمي فلا تسألني عن شيء أفعله إلىٰ أن أخبرك وأبيّن لك، ولقد قبل موسىٰ عليه السلام هذا الشرط.

(٣٦) طلبا من أهل السفينة أن يحملوهما معهم فقبلوا دون أن يأخذوا منهما أجراً مقابل ذلك لأنهم عرفوا الخضر فإكراماً له رفضوا الأجرة (النول).

(٣٧) القدوم= آلة النجر والنحت.

(٣٨) إمرا= تصرفت تصرفاً خطيراً!!

(٣٩) كان الإتفاق علىٰ ألا يسأل موسىٰ الخضر عن أي شيء حتىٰ يبدأ الخضر ببيان ذلك.

(٤٠) ولا ترهقني من أمري عسراً= لا تؤاخذني بنسياني وعاملني بالعفو واليسر والسماحة.

قال: وجاء عُصفورٌ فوقعَ علىٰ حرف[41] السفينة.
فنقر في البحر نقرةً[42]،
فقال له الخضرُ: ما عِلمي وعلمُك من علم الله إلا مثل ما نقصَ هذا العصفور من هذا البحر[43].
ثم خرجا من السفينة،
فبينما هما يَمشِيانِ علىٰ الساحِلِ إذ أبصرَ الخَضِرُ غُلاماً يلعبُ مع الغلمان،
فأخذ الخضِر رأسَهُ بيدِه فاقتَلَعَهُ بيدِه فقَتَله،
فقال له موسىٰ: أقتلتَ نفساً زاكيةً بغير نفس؟[44]
لقد جئت شيئاً نكراً[45].
قال: ألم أقُل لك إنّك لن تستطيعَ معي صبراً؟
قال: وهذه أشد من الأولىٰ[46].
قال: إن سألتُكَ عن شيء بعدَها فلا تصاحبني، قد بَلغتَ من لدُنِّي عُذراً[47].
فانطلقا حتّىٰ إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها[48]،

---

(٤١) حرف= طرف.

((٤٢) فنقر في البحر نقرة= أخذ الطائر بمنقاره شيئاً من الماء.

(٤٣) وهذا مثال للتقريب والتوضيح فالمراد هنا المعنىٰ وليس الظاهر، وإلا فإن علم الله لا ينقص ولو مثقال ذرة فعلمه وإدراكه منزه عن النقص.

(٤٤) أقتلت نفساً زاكية بغير نفس= كيف تقتل نفساً طيبة طاهرة بريئة بغير حق!!؟

(٤٥) نكراً = لقد عملت عملاً منكراً فظيعاً.

(٤٦) قال الرسول ﷺ: إن سؤال موسىٰ هذه المرة أشد من المرة السابقة لأنه عاهد الخضر علىٰ عدم تكرار الاستفسار والسؤال.

(٤٧) قد بلغت من لدني عذراً= يقول موسىٰ للخضر: لقد أعذرتني مرة بعد أخرىٰ فلا اعتذار بعد هذا، فإن سألتك ففارقني!!

(٤٨) استطعما أهلها= طلبا منهم الطعام والضيافة.

فأبوا أن يضيِّفوهما[٤٩]،
فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض[٥٠] ـ قال: مائلٌ ـ
فقام الخضرُ فأقامَهُ بيده[٥١].
فقال موسىٰ: قومٌ أتيناهم فلم يطعِمونا، ولم يضيِّفونا، لو شِئتَ لاتخَذتَ عليهِ أجراً.
قال: هذا فِراق بيني وبَينِك[٥٢] ـ إلىٰ قوله ـ ذلك تأويلُ مالم تسطع عليه صَبراً[٥٣].

[قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ[٥٤] فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾[٥٥].

---

(٤٩) فأبوا أن يضيفوهما= رفضوا أن يعطوهما ما هو حق وواجب عليهم من ضيافتهما.
(٥٠) فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض= وجدا في القرية جداراً يكاد أن يسقط وينهدم.
(٥١) فأقامه بيده= مسحه وسواه فرده كما كان.
(٥٢) هذا فراق بيني وبينك= هذا الكلام والإنكار منك علىٰ تركي أخذ مقابل من أجل إقامة الجدار هو المفترق بيننا فلقد أنذرتك وحذرتك من أن تسألني قبل أن أبيّن لك مراد فعلي وسر عملي.
(٥٣) في سورة الكهف كشف عن حقيقة أفعال العبد الصّالح..
(٥٤) التي خرقها الخضر.
(٥٥) خرقت سفينة المساكين لأن هناك ملكاً يغتصب السفن الصالحة فقمت بخرق جزء بسيط منها كي لا يأخذها الملك الظالم لما فيها من خلل وعيب.

وَأَمَّا الْغُلَٰمُ[٥٦] فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا[٥٧] .

﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ[٥٨] لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا[٥٩] وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾] فقال رسول الله ﷺ : وددنا أنَّ موسىٰ كان صبر حتىٰ يقص الله علينا من خبرهما .

[رحمة الله علينا وعلىٰ موسىٰ لو صبر لرأىٰ من صاحبه العجب ولكنه قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني][٦٠] .

رواه الشيخان .

* * *

---

(٥٦) الغلام= الذي سبق أن قتله الخضر.

(٥٧) فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً= إن الخضر عليه السلام علم بإعلام الله له أن الغلام طبع يوم طبع كافراً، وسوف يتسبب عن كفره اضلال أبويه وكفرهما.

(٥٨) الكنز= مال مدفون.

(٥٩) يبلغا أشدهما= قوتهما وشدتهما.

(٦٠) لأبي داود.

ويستفاد من الحديث:

١) استخدم الأنبياء الموعظة كوسيلة للترغيب والترهيب، والتعديل والتغيير، حتىٰ كانت خطبهم البليغة بلسماً ينساب إلىٰ نفوس المؤمنين فتسيل الدموع كما تلهب العواطف وترقق القلوب، وليس لبشر أن يستغني عن هذا الفن الرفيع في الإصلاح ولقد أرسل الله سبحانه وتعالىٰ كتابه العزيز ليكون أبلغ موعظة للناس. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٦١].

وأوجب سبحانه علىٰ العباد الاستعانة بهذه الوسيلة فقال للدعاة منهم خاصة ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[٦٢]. فعلىٰ الدعاة والمربين الالتزام بهذا الأمر والاعتصام بهدي الأنبياء والانتظام في سلكهم واتباع نهجهم.

٢) الوفاء بالعهود والالتزام بالوعود من صفات المؤمنين الفائزين قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾[٦٣].

٣) سعة علم الله فهو سبحانه الذي وسع كل شيء علماً، وأنّ علمه لا نهاية له ولا غاية تحصره . . . ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾[٦٤] . . . وأن علم البشر أحقر من أن يوزن بقطرة من بحر علم الله سبحانه وتعالىٰ وصدق

---

(٦١) سورة يونس: الآية ٥٧.

(٦٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٦٣) سورة المؤمنون: الآية ٨.

(٦٤) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

الله ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[٦٥] فلا يدرك العلم بتمامه وكماله أحد من البشر مهما سما وعلا قدره، وعليه فإن الرهان في ميدان العلم قائم فكلّما أوغل العقل في كشف المجاهل كلما تحقق من صغر نفسه وضآلة علمه وعالمه وعندما يدرك مدىٰ عجزه وقصوره يخشع قلبه لعظمة الله ويزداد به قرباً ويقيناً، وهيبة وهداية.

٤) لزوم التواضع في كل حال ولا غضاضة في أن يتعلم المرء ممن هو دونه، فلا يأنف من التعلم إلا الجاهل ولا يألف العلم إلا العاقل، والعالم لا يستنكف من أن يتعلم ممن هو أقل منه قدراً أو سناً. ولقد كان الرسول ﷺ يقرأ علىٰ أبي بن كعب ـ راوي القصة ـ سورة البيّنة[٦٦] وكان بعض الصحابة يُحدث عن التابعين.. وما أجمل صيحة يحيىٰ بن معاذ لطالب العلم حينما قال له: «لا تطلب العلم رياء ولا تتركه حياء»[٦٧].

٥) لا يصبر الإنسان علىٰ ما يجهله وكما قيل الإنسان عدو ما يجهل، ولذلك كان لزاماً علىٰ العالم أن يقدم هدف درسه ويحدد منهج طرحه في بداية الشروع في الدرس والخوض في تفاصيل الموضوع لأن السامع يخبو تلهفه وتضعف همته إذا لم يعرف غرض الدرس، والمدرس المتمكن يمتاز ببراعة الاستهلال وحسن الابتداء، فإن الطالب لا يصبر علىٰ ما لم يحط به خبراً ومن هنا كانت معاناة سيدنا موسىٰ عليه السلام مع صاحبه.

٦) في قوله: « هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا » دلالة علىٰ

---

(٦٥) سورة الإسراء.

(٦٦) انظر فتح الباري جـ ٨ ص٧٢٥.

(٦٧) حلية الأولياء ـ الأصفهاني ١٠/٥٣.

«استحباب تلطف الطالب في سؤاله لأستاذه فلا يكون سؤاله علىٰ وجه الإلزام والإجبار»[٦٨].

٧) القرآن الكريم مصدر رئيس من مصادر القصص النبوي «فالسنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه»[٦٩] «وجميع السنة شرح للقرآن»[٧٠].

٨) التعب والنّصب من طبيعة المشوار العلمي بل هما من طبيعة كل عمل خيِّر يُتوقع نفعه قال تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٧١] من وقت وجهد ومال وانقطاع.. ولو كان الحصول علىٰ العلم عرضاً قريباً أو سفراً قاصداً لأدركه كليم الله موسىٰ دون عناء وبلاء ولّما فضّل الله الناس بعضهم علىٰ بعض ولّما أمرهم بالتنافس في محرابه، ولكن عباب الجهل لا يمخره أحد إلا بجد وتضحية وبذل متواصل وعمل بالأسباب وصبر تام علىٰ تحمل الصعاب مع استشعار عميق وفهم دقيق لقوله عز وجل: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[٧٢] حيث الإخلاص في العمل والنظر إلىٰ ثواب الله عز وجل.

٩) «الأدب مع العالم وحرمة المشايخ وترك الاعتراض عليهم وتأويل ما لا يفهم ظاهره من أفعالهم وحركاتهم وأقوالهم والوفاء بعهودهم والاعتذار عند مخالفة عهدهم»[٧٣]. ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة رائعة تدل علىٰ سعة فقه وأفق هذا الإمام الجليل، فهو في كتابه«رفع الملام عن الأئمة الأعلام» يرشد الأنام إلىٰ كيفية فهم خلاف العلماء في سياج

---

(٦٨) انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص١٥٨.

(٦٩) ابن تيمية ـ العقيدة الواسطية ـ ص١١.

(٧٠) انظر ـ د. صبحي الصالح علوم الحديث ـ ص٣٠٢.

(٧١) (٧٢) سورة آل عمران: الآية ٩٢.

(٧٣) النووي شرح صحيح مسلم ١٣٧/١٥.

الأدب الرفيع ويبين أعذار العلماء في حال مصادمة أقوالهم لبعض النصوص الصحيحة، وما أحوجنا في هذا الزمان إلىٰ معرفة أصول وقواعد الخلاف وضرورة إحسان الظن بمسالك العلماء ممن أجاز لهم الشرع في الإفتاء والاجتهاد ومن أبسط الآداب أن نحترم المجتهد وإن أخطأ فإن كان المجتهد ينال من الله أجر الاجتهاد فلا أقل من أن ينال الاحترام من العباد، بدل التطاول والغيبة، والتجريح والتقبيح.

١٠) أن الله تبارك وتعالىٰ يحفظ العبد الصالح ويخلفه في نفسه وولده وذريته، فهو سبحانه وليّ الصالحين.

١١) «شغف موسىٰ بحب العلم وعطشه في الحصول عليه يدل علىٰ أن طالب العلم لا يرتوي أبداً إلا برؤية المولىٰ الأعظم في المحل الأكرم.

١٢) قوله ﷺ: «**فحملوها بغير نول** ـ أي أجرة ـ» دليل علىٰ أن الرجل الكبير إذا رُوعي في المعاملات بالتجاوز والتسامح معه جاز ذلك كما أن ذلك لا يؤثر في منزلته ومكانته.

١٣) قول النبي ﷺ في نهاية القصة: «**رحم الله موسىٰ وددنا لو صبر**»، تصريح بحب العلم وتطلع إليه»[٧٤] من جهته ﷺ.

١٤) المعلم النابه هو الذي يستغل المواقف الحية ويتفاعل مع الأحداث المحيطة ويستثمرها لصالح درسه «فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع علىٰ حرف السفينة.. قال الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله..» ففي هذا الموقف يتألق الخضر بحنكته التربوية في توظيف الأحداث الجارية وتطويعها، إن صنع المواقف التعليمية أبلغ أثراً،

---

(٧٤) صحيح الترمذي بشرح ابن العربي ١٢/٣ ـ ٩ بتصرف.

وأعظم نفعاً في ترسيخ المفاهيم وتثبيتها في ذهن المتعلم، وتجربة موسىٰ بتمامها في هذه الرحلة هي في الحقيقة تجسيد واضح لهذه الفكرة.

١٥) الإحسان إلىٰ الأيتام وتأمين حقوقهم وصيانة ممتلكاتهم.

١٦) أسلوب العقاب في التربية حل نهائي لمعالجة الممارسات الخاطئة والعقاب ليس بالضرورة أن يكون بالضرب والتعزيز البدني بل قد يكون بالمقاطعة والهجران، والمعاتبة والحرمان.

١٧) السؤال سهم قد يضر وقد ينفع.

التنبيه الأول:

للأسف أننا نجد بعض الناس ينسج حول شخصية الخضر عليه السلام الأساطير بخيوط الأوهام وحبال الخرافات وحبائل الشيطان، وأضحىٰ كل دجال عليم النفاق يدّعي زوراً وبهتاناً لقاء الخضر وينقل علىٰ لسانه تعاليم وترانيم ما أنزل الله بها من سلطان.

وأخذوا يروون عنه قصصاً وروايات أغرب من الخيال دون سند صحيح، ولا دليل بيِّن، مما أفسد علىٰ الناس عقيدتهم الواضحة النقية، فراحوا بجهلهم يعلقون التمائم والرقىٰ، رجاء نفع الخضر وحلول بركته وعلىٰ أمل نزول مدده وغوثه، وقاموا في سبيل ذلك بتقديم القرابين من هبات وأعطيات.

ولقد استغل غلاة الصوفية هذه الحكايات الكاذبة المنسوبة ظلماً وعدواناً إلىٰ الأئمة والصالحين في تدعيم مفاهيم خاطئة كالتواكل في طلب الرزق والتكاسل في العبادات والابتداع بدل الاتباع وكراهية العلم القائم علىٰ البحث والتتبع ولهم أعمال وأحوال ظاهرة وباطنة يظنون أنها علىٰ شيء!!

وليس من الكياسة في شيء أن نوسع أو نضيق من رواية كل ما يتصل بحال الخضر ولكن الأصل في هذه المسائل أن لا نُثبت إلا ما شهد الدليل بصدقه ونطق البرهان بصحته وذلك من خلال النصوص الصحيحة وعبر فهم دقيق وعند أهل العلم الخبر اليقين.

التنبيه الثاني:

القتل في الإسلام جريمة شنيعة نكراء جاءت الشريعة الغراء لتقرر تحريم قتل النفس بلا جريرة أو جريمة ترتكبها، وسنّت أقسىٰ العقوبات الدنيوية وتوعدت بأقصىٰ الجزاءات الأخروية لمرتكب هذه الجناية الجائرة الظالمة.

ومثلما حرم الإسلام قتل النفس التي حرم الله ووضع الروادع، وشرع العقوبات، وجّه المسلمين إلىٰ المبادرة والمسارعة إلىٰ إحياء النفوس فقال عز من قائل: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[٧٥].

وإحياء الناس إنما يكون بإسعاف الجريح ونجدة المكروب من غرق أو حرق.. وإنقاذ المخطوف وإغاثة الملهوف، وكل مساعدة تكفل لهم الحياة الآمنة هي إحياء وإبقاء للنفس المكرمة.

وما ورد في القصة من قتل الخضر عليه السلام لذلك الغلام هو أمر خاص بأمر إلٰهي وحكمة ربانية أراد الله عز وجل أن يظهرها علىٰ يد الخضر، وليس لأحد أن يظن أن في القصة تساهلاً بالقتل وإزهاق النفس.. ولا يحق لأحد أن يستدل من ذلك علىٰ جواز قتل الغلام الكافر

---

(٧٥) سورة المائدة: الآية ٣٢.

الذي لم يبلغ الحلم كما فعل الخضر عليه السلام وذلك لانتفاء الاستثناء وعدم وجود أمر من الله عز وجل بالقتل. . فالتحريم قائم على حرمة قتل النفس دون ذنب يوجب القتل، ويستبيح الدم، ويهدر الحق. إن النفس مصانة مكرمة في أحشاء التشريع الإسلامي، فأول حق للإنسان في رحاب الإسلام وديار التوحيد هو حق الحياة.

فهو الدين الذي حرّم قتل الجنين في بطن أمه دون سبب قاهر أو عذر ظاهر، ومنع قتل الحيوانات إذا لم يكن في قتلها مصلحة أو درء لمفسدة، فأي دين هذا الذي يحمي جنيناً وحيواناً لا يملكان لأنفسهما ضراً ولا نفعاً ثم يبيح دم الأطفال. . ؟!

* * *

خاتمة:

هذه القصة المثيرة وثيقة تربوية ثرية رائدة رسمت قوائم ومعالم العملية التعليمية، ووضعت دستور الحركة التربوية الرشيدة في ظلال الخلق الفاضل، حيث يكون الدافع في طلب العلم أولاً وأخيراً مرضاة الله سبحانه وتعالىٰ.

وفي هذه الوثيقة تعبير دقيق لطبيعة العلم تلك الطبيعة التوسعية التي تؤكد عجز الإنسان وتظهر قصور فكره وبساطة معارفه مهما ظن أو اعتقد أنه قد قطع شوطاً كبيراً في ميدانه(٧٦)، وفي مقابل هذه الطبيعة للعلم البشري يَتجلىٰ العلم الإلٰهي الكامل الشامل الذي لا يشوبه النقص ولا يصيبه القصور ولا يعتريه النسيان، هذا العلم الذي لا يدرك الإنسان مدىٰ عظمته وسعته وضخامته!!

كما تنطوي هذه القصة علىٰ المبادىء الرئيسة للتعلم وتشمل الآداب

---

(٧٦) يوجز الإمام الشافعي رحمه الله طبيعة المعارف التوسعية فيقول:

كلما أدبني الدهر ... أراني نقص عقلي

وإذا ما ازددت علماً ... زادني علماً بجهلي

وللإمام الماوردي تجربة طريفة يعبر عنها فيقول: «ومما أنذرك من حالي أنني صنفت في البيوع كتاباً جمعت ما استطعت من كتب الناس.. وتصورت أنني أشد الناس اضطلاعاً بعلمه، وفي يوم جاءني في مجلسي أعرابيان، فسألاني عن بيع عقداه في البادية، علىٰ شروط تضمنت أربع مسائل، لم أعرف لواحدة منهن جواباً.. ثم وجدا الإجابة عند من هو أقل علماً مني بكثير..».

السبق التربوي في فكر الشافعيٰ ـ للمؤلف بالإشتراك مع الشيخ خليل محمد أبو طالب ـ ص٥٥ بتصرف.

الكريمة للمتعلم كحب العلم والتسلح بالعزم والحلم والصبر والتواضع . .

وفيها ملامح المعلم المتبصر والعالم المتبحر، يقدر الطبائع المتفاوتة ويتسامح بحدود وقيود منضبطة متزنة . .

عالجت القصة أقطاب العمل التربوي : العلم، المتعلم، العالم وفق مسحة جمالية ساحرة، وعبر لمسة فنية باهرة جديرة بأن تكون راية خفاقة لتعليم الأجيال .

تعليق :

إذا كان من شأن الأنبياء الحرص على العلم فجدير بسائر البشر أن يكونوا إليه أحوج، وفي طلبه أسرع، وخليق بالمؤمن من بين جموع البشر أن يكون سبّاقاً في هذا المضمار شعاره قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٧٧] .

(٧٧) سورة طه: الآية ١١٤ .

القصة الخامسة:

أشد يوم على الرسول صلى الله عليه وسلم

شهدت السنة العاشرة للبعثة أحداثاً جساماً، إذ اشتد بلاء التعذيب علىٰ المسلمين في مكة، وتطاول كفار قريش علىٰ النبي ﷺ فآذوه بعد أن كان في منعة منهم قبل وفاة عمه أبي طالب.

وكان المصاب الجلل هو فقد النبي ﷺ زوجه خديجة رضي الله عنها، التي صدّقته، وآوته وناصرته، فكانت أحب الناس إليه، ولا غرابة أن يُسمىٰ هذا العام عام الحزن. إن غطرسة قريش وتجبرها أكدتا للنبي ﷺ ضرورة البحث عن قوم غيرهم يشدون من أزره، ويحمون ظهره، وينصرون رسالته.

ظن الرسول ﷺ أن في ثقيف مبتغاه، عسىٰ أن يكون أهلها نواة جيل التأسيس ومهد الدولة الإسلامية الفتية، فتوجه إلىٰ الطائف، يحدوه الأمل، ويشفه الشوق، هرع إلىٰ الطائف وهي تبعد عن مكة نحو الخمسين ميلاً، وهي منطقة جبلية وعرة، لا يصل الرَّاجِلُ إلىٰ مناطقها إلا بشق الأنفس.

انطلق في رحلته الدعوية ومعه مولاه زيد بن حارثة وهناك بدأ الرسول ﷺ يلتمس الناصر والمعين في أسواقهم، وأنديتهم، وبيوتهم.. لكن الأبواب قد أُوصدت في وجهه سلفاً، ورد سادتهم عليه أقبح رد سفهاً، بل إن نذالتهم دفعتهم إلىٰ أن يبعثوا عبيدهم وصبيانهم إثر النبي ﷺ يرشقونه بسيء القول، ويرمونه بالحجارة حتىٰ أدموه وآذوه أشد الإيذاء.

أهكذا يكرم الضيفان؟ أهكذا يعامل الإنسان؟ فكيف إذا وقع هذا الضيم والإجحاف في حق نبي كريم جاء يحمل غراس الخير والبِشر!!

لا جرم أنه موقف في غاية الخسّة والدناءة والحقارة.

وبعد أن مضت عشرة أيام عجاف في الطائف عاد النبي ﷺ من حيث أتىٰ وهو يحمل معه آلاماً وجراحاً تضارع الجبال المتناثرة في طريق عودته ودعوته، لم تكن آلام الجسد وجراحاته ذات بال، بل إن حزنه العميق وأسفه الشديد علىٰ حال أهل الطائف كان هو الظل الكئيب الذي يصاحبه كلما سار مسيراً أو قطع وادياً.

ورُوي عنه أنه رفع رأسه يدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني علىٰ الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلىٰ من تكلني؟ إلىٰ بعيد يتجهمني**[1] **أم إلىٰ عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة. من أن تنزل بي غضبك أو يحلّ عليّ سخطك، لك العتبىٰ حتىٰ ترضىٰ ولا حول ولا قوة إلا بك**»[2].

وحسبك ما في هذا الدعاء من أحزان وأشجان توسدت قلب النبي ﷺ ودفعته ليردد هذا الدعاء الحزين بقلب يعتصره الأسىٰ.

وبينما هو علىٰ ذلك الحال يرسل ببصره إلىٰ قمم الجبال، ظهر ملك عظيم، وغشيته سحابة رحيمة، وإذا بالملك يستأذن النبي ﷺ بأن يُطبق الجبلين علىٰ من آذوه فلا صريخ لهم ولا هم يُنقذون!!

---

(١) يتجهمني= يقسو علي.

(٢) مختصر سيرة ابن هشام ـ ص٨٢، محمد الغزالي ـ فقه السيرة ـ ص١٣١، وهذا الدعاء رغم ضعف سنده فهو جميل فياض كما ترىٰ!

عن عائشة* رضي الله عنها قالت: [يا رسول الله] هل أتىٰ عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أحد؟[٣]

فقال: لقد لقيتُ مِن قومِك[٤]!!

وكان أشدُّ ما لقيتُ منهم يوم العقبة، إذ عَرضتُ نفسي علىٰ ابن عبديالِيل بن عبدكُلال فلم يُجبني إلىٰ ما أردت[٥].

فانطلقت وأنا مهمومٌ[٦]، علىٰ وجهي[٧]،

---

* ترجمة راوي القصة: عائشة أم المؤمنين (٩ق هـ - ٥٨هـ) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق عبدالله بن عثمان. أم المؤمنين وأفقه نساء المسلمين. كانت أديبة عالمة. كُنيت بأم عبدالله. لها خطب ومواقف. وكان أكابر الصحابة يراجعونها في أمور الدين. وكان مسروق إذا روىٰ عنها يقول: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ المبرأة في السماء. وهي من أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ.
[انظر الموسوعة الفقهية جـ ١ ص٣٥٩ تهذيب الأسماء واللغات للنووي جـ ٢ ص٣٥١].

(٣) هل أتىٰ عليك يوم أشد من يوم أحد= هل مضىٰ عليك يوم عصيب أشد من يوم أحد؟ فلقد شج وجهه ﷺ وكسرت رباعيته وسقط في الحفرة وقُتل عمه حمزة ومُثِّل به.

(٤) لقد لقيت من قومك= لقد لقيت من قومك الكثير من الأذىٰ، من قبيح القول، وسيء الفعل، فلم يسلم منهم ﷺ حتىٰ وهو يصلي عند الكعبة حيث يلقون القاذورات أمامه..

(٥) لقيت أشد مواقف الإيذاء في رحلتي إلىٰ الطائف فلقد طلبت من أكابر أهل الطائف من ثقيف العون والنصرة فأبوا وامتنعوا. العقبة= قيل أنه مكان جهة الطائف وقيل في منىً. ابن عبديالِيل= أحد أشراف ثقيف بالطائف.

(٦) مهموم= محزون.

(٧) علىٰ وجهي= علىٰ الجهة المواجهة لي.

فلم أستفق[٨] إلا وأنا بقرن الثَّعالب[٩]،
فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلّتني،
فنظرت فإذا فيها جبريل.

فناداني فقال: إن الله [عز وجل] قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم،
[قال] فناداني ملَكُ الجبال فسلم علي،

ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟

إن شئت أن أطبق[١٠] عليهم الأخشبين[١١].

فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم[١٢] من يعبد الله وحدُه، لا يشركُ به شيئاً.

متفق عليه[١٣] واللفظ للبخاري.

---

(٨) فلم استفق= لم أفطن لنفسي (ولم أنتبه).

(٩) قرن الثعالب= ميقات أهل نجد ويقال له قرن المنازل أيضاً، وهو على بعد يوم وليلة من مكة، وقرن كل جبل صغير منقطع من جبل كبير..

(١٠) أطبق: أهلكهم وأدك الجبلين عليهم. «فيصيران طبقاً واحداً» الفتح جـ ٦ ص٣١٦.

(١١) الأخشبان= جبلان بمكة.

(١٢) من أصلابهم= من ذريتهم. وفي بعض الروايات: فقال له ملك الجبال: أنت كما سماك ربك رؤوف رحيم. انظر د. محمد أبو شهبة ـ السيرة النبوية ـ جـ ١ ص٤٠٤.

(١٣) الحديث رواه البخاري في كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء.. انظر الفتح جـ ٣١٢، ص٣١٣. ومسلم باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين. انظر شرح صحيح مسلم للنووي جـ ١٢ ص١٥٤، ص١٥٥.

ويستفاد من القصة:

١) «بيان شفقة النبي ﷺ على قومه، ومزيد صبره وحلمه، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[١٥][١٦].

٢) «جواز طروء الهم من الأعراض البشرية على الأنبياء وهذا هم في أمر ديني»[١٧].

٣) إعراض الكثير من الكبراء والوجهاء والأشراف عن نصرة الإسلام في العهد المكي خوفاً على مراكزهم ومصالحهم الدنيوية.

٤) قوة الرسول ﷺ الجسمانية التي سمحت له أن يسير على قدميه إلى مناطق وعرة ونائية، ولقد وصف أبو هريرة رضي الله عنه مشيه ﷺ فقال: إذا وطىء بقدمه وطىء بكلها وقال: ما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله ﷺ كأنما تطوى له، إنا لنُجهد أنفسنا وهو غير مكترث.

ولقد علق في أذهان بعض الناس أن الرسول ﷺ ضعيف البنية نحيل الجسم لا حول له ولا قوة، لا يفقه في أمر الدنيا والاقتصاد والسياسة.. شيئاً، فهو متبتل كثير الانقطاع عن الناس للذكر والعبادة.

---

(١٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(١٥) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(١٦) فتح الباري جـ ٦ ص٣١٦.

(١٧) نزهة المتقين جـ ١ ص٥٣٦.

وهذه صورة ذابلة باهتة لشخصية عملاقة فارعة، فالحق أن النبي ﷺ أشجع الناس، يثبت حين يفر الشجعان، ويصمد في مواطن الشدة بعزيمة واستبسال، وكان الصحابة يحتمون به إذا أحدقت بهم الشدائد، وحمىٰ الوطيس، واحمر البأس، وكانوا في حفر الخندق إذا تعرضت لهم صخرة قوية نزل إليها ﷺ فيأخذ المعول فيضرب الصخرة فتعود تراباً ناعماً!!

ويكفيك أن تُعدد غزواته وتتعرف إلىٰ خططه، وتقرأ أحاديثه لتعلم أن الدنيا قد حِيزت له، فإن الله قد ألهمه نظرة ثاقبة وحباه فضل الريادة في الفنـون العسكرية والعلوم السياسية.. ولولا قوته وشجاعته لما استطاع أن يقوم بأعباء الرسالة الجسيمة.

٥) الأنبياء أشد الناس بلاءً، وفي الصحيح «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلىٰ الرجل علىٰ حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً، اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي علىٰ قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتىٰ يتركه يمشي علىٰ الأرض وما عليه خطيئة**».

٦) الدعوة لا تعترف بالقيود الاجتماعية، والحدود المكانية، فالداعية عليه أن يوصل دعوته إلىٰ كل مكان يظن فيه فائدة مرجوة، وعليه البلاغ والسعي وليس مطلوب منه تحقيق النتائج فهي بيد الله وحده.

٧) وقود الدعوة الهمة العالية والعزيمة المتوثبة.

٨) فضل السلام والالتزام به في جميع الظروف، ومن شأن السلام أن يشيع في النفس الطمأنينة والراحة، خاصة في المواقف العصيبة، وعلينا أن نفشي السلام بيننا عندما نمر في أحرج الأزمات، وأشد النوائب،

والسلام من أسماء الله الحسنىٰ التي تبارك النفس والأنفاس فتزكيهما.

٩) عظم خلق الملائكة وأن الله عز وجل قد زودهم بطاقات جبارة.

١٠) يتواجد الملائكة في السماء ولا ينزلون إلا بأمر الله عز وجل لتنفيذ ما يوكل إليهم من أعمال، وأداء ما يناط إليهم من وظائف، ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾[١٨].

١١) من طبيعة الملائكة السمع والطاعة، قال تعالىٰ في ذلك: ﴿ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[١٩].

١٢) للجبال ملائكة موكلون بإدارة شئونها، والملك القيم عليها يُسمىٰ «ملك الجبال».

١٣) يحتل جبريل عليه السلام مكانة رفيعة مرموقة فهو أمين الوحي وسفير السماء إلىٰ الأنبياء.

١٤) حرص عائشة رضي الله عنها علىٰ معرفة تاريخ الدعوة الإسلامية والعقبات التي واجهتها في الصدر الأول، وفي الحديث إشارة إلىٰ أنها كانت صغيرة ساعة هجرة الطائف، والقصة في مجملها ثمرة يانعة لسؤال أم المؤمنين رضي الله عنها.

١٥) المؤمن لا ييأس من روح الله عز وجل في إصلاح البشر وهداية الناس فالله عز وجل يُخرج من صلب الكافر الرجل المؤمن كما يُخرج الحي من جوف الميت وإلىٰ الله ترجع الأمور.

---

(١٨) سورة مريم: الآية ٦٤.

(١٩) سورة التحريم: الآية ٦.

١٦) التوحيد الخالص غاية الرسالة الإسلامية. يقول ابن القيم عن كلمة التوحيد ومكانتها الهامة في الحياة «لأجلها نصبت الموازين ووضعت الدواوين وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلىٰ المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، وأسست الملة، ولأجلها جردت السيوف وهي حق الله علىٰ عباده..»[٢٠].

١٧) صبر النبي ﷺ صبر اختيار وحلمه حلم اقتدار، وإن يشأ أن ينتقم لانتقم، ولكنه رؤوف رحيم.

١٨) «إن كل ذاك الذي رآه وعاناه ﷺ في الطائف، بعد القسوة والعذاب في مكة، لم يكن له أي تأثير علىٰ ثقته بالله تعالىٰ أو علىٰ قوة العزيمة الإيجابية في نفسه. ولا والله، ليست هذه عزيمة بشر آتته الطبيعة مزيداً من التحمل أو قوة الإرادة. ولكنه يقين النبوة كان ثابتاً في قلبه ﷺ فهو يعلم إنما ينفذ أمر ربه ويسير في الطريق التي أمره الله أن يسير فيها، ومما لا ريب فيه أن الله بالغ أمره، وقد جعل لكل شيء قدراً.

والفائدة التعليمية لنا في هذا الأمر أن لا تصدنا المحن والعقبات التي تكون في طريق الدعوة الإسلامية عن السير، وأن لا تبث فينا روح الدعة والكسل، وما دام الله سبحانه هو الآمر، فلا شك أنه هو الناصر أيضاً»[٢١].

* * *

---

(٢٠) مرعي الحنبلي ـ شفاء الصدور ـ دارسة وتحقيق: عادل صالح الجطيلي ص٤.

(٢١) د. البوطي ـ فقه السيرة ـ ص١٠٩.

تنبيه:

«وربما يتوهم من اطلع على ظاهر سيرة هجرته عليه الصلاة والسلام إلى الطائف، أنه ﷺ قد غُلب على أمره هناك، وأن الضجر قد نال منه، وأنه ربما استعظم كل تلك المحنة والمشاق التي أصابته، ولذلك توجه إلى الله بذلك الدعاء.

ولكن الحقيقة أنه عليه السلام قد استقبل تلك المحن راضياً، وتجرع تلك الشدائد صابراً محتسباً، وإلا فقد كان بوسعه - لو شاء - أن ينتقم من السفهاء الذين آذوه ومن الزعماء لذين أغروا به السفهاء وردوه ذلك الرد المنكر، ولكنه عليه السلام لم يشأ ذلك»[٢٢] فهو ﷺ كالشجر يُرمى بالحجر فيُسقط الثمر، يقابلونه بالنكران ويقابلهم بالإحسان، ويتمنى لهم الهداية والسداد ولو شاء لدكّ عليهم الجبال.

لطيفة:

«إذا تأملنا في الهجرة التي قام بها النبي ﷺ إلى الطائف، وما انطوت عليه من العذاب الواصب الذي رآه عليه الصلاة والسلام نستخلص أن ما كان يلاقيه النبي ﷺ من مختلف ألوان المحنة، لا سيما هذا الذي رآه في ذهابه إلى الطائف، إنما كان من جملة أعماله التبليغية للناس..

فكما أنه جاء يبلغنا العقيدة الصحيحة عن الكون وخالقه، وأحكام العبادات والأخلاق والمعاملات، كذلك جاء يبلغ المسلمين ما كلفهم

---

(٢٢) د. البوطي - فقه السيرة - ص١٠٩ بتصرف يسير.

الله به من واجب الصبر، ويبين لهم كيفية تطبيق الصبر والمصابرة اللذين أمر بهما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾[٢٣].

ولقد علمنا النبي ﷺ القيام بالعبادات بالوسيلة التطبيقية، فقال: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**» وقال: «**خذوا عني مناسككم**» ليبين أن الصبر ومقارعة الشدائد من أهم مبادىء الإسلام التي بُعث بها إلىٰ الناس كافة»[٢٤]. فالقصة السابقة صورة عملية لحقيقة نظرية، وكلمات ناطقة لآيات وحكم سامية.

---

(٢٣) سورة آل عمران الآية ٢٠٠.

(٢٤) د. البوطي ـ فقه السيرة ـ ص١٠٩ بتصرف.

القصة السادسة:

رضّع يتكلمون في المهد

إيماننا الجازم بعِظم قدرة الله عز وجل يجعلنا نستقبل المعجزات والكرامات بقلب عامر باليقين وعقيدة راسخة راسية.

إن المعجزة التي تجرىٰ علىٰ يد الأنبياء أو الكرامة التي تظهر علىٰ يد الأولياء، يأتيان بأمر الله عز وجل في ساعة الضعف البشري، ويهبطان عند نفاد الحيلة، نعم تبرز هذه الخوارق في اللحظات الأخيرة والأوقات العسيرة، لترفع البلاء.

أشهر من تكلم في المهد هو سيدنا عيسىٰ عليه السلام، وكانت الآيات تترىٰ مع ميلاده، بل من قبل أن يرىٰ النور، فلقد حملت به أمه السيدة مريم عليها السلام بقدرة الله. دخلت السيدة مريم علىٰ قومها وبيدها ولدها الرضيع تحمله، فعجبوا من أمرها وأنكروا حالها ولمزوها في شرفها وقالوا: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾[1] فأشارت إلىٰ رضيعها وهي صامتة واجمة!!

وهنا وفي هذه اللحظة الحاسمة أنطق الله عز وجل الرضيع ليفرّج الأزمة قائلاً: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾[2].

---

(١) (٢) سورة مريم: الآية ٢٨، ٣٠.

ولقد حكت السنة النبوية قصصاً شبيهة بتلك القصة، مثل قصة جريج العابد المفترىٰ عليه بسببِ دعوة دعتها أمه عليه عندما قصّر في حقها، وكاد أن يلقىٰ حتفه لولا أن الله أنطق رضيعاً شهد ببراءته، أما الرضيع الثالث فقد وضّح لأمه حقائق كانت تجهلها..

وفي هذه القصة التي بين أيدينا أحداث جرت في غابر الزمان، متفرقة، ولكنها كلها كانت في بني إسرائيل[٣]، وتحكىٰ العجائب من غرائب دعاء الأمهات.

* * *

(٣) لفظ (بني إسرائيل) إذا أطلق يشمل اليهود والنصارىٰ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه* عن النبي ﷺ قال:

لم يتكلم في المهد[٤] إلا ثلاثة: عيسىٰ بن مريم [عليه السلام].
وصاحب جريج، [صبي كان في زمان جريج وصبي آخر].

[وفي رواية: كان رجل في بني إسرائيل تاجراً،
وكان ينقص مرة ويزيد أخرىٰ[٥].
قال[٦]: ما في هذه التجارة خير،
التمس[٧] تجارة هي خير من هذه!
فبنىٰ صومعه[٨]،
وترهب فيها،
وكان يقال له جريج].
وكان جريج رجلاً عابداً [من بني إسرائيل] فاتخذ صومعة.
فكان فيها.
[وكانت له أم [وكانت أمه تأتيه فتناديه،

---

* ترجمة راوي القصة تجدها في القصة الأولىٰ فجدد بها عهداً.

(٤) المهد= الفراش الذي يهيأ للرضيع.

(٥) كان ينقص مرة ويزيد أخرىٰ= لم يكن جريج يوزن بالقسطاس المستقيم ولكنه كان يغش في الميزان.

(٦) قال: لم يعجبه حاله هذا فقال لنفسه ما في التجارة من خير أُخروي وأنا على هذه الحالة.

(٧) التمس= ابحث.

(٨) صومعة= مكان يتعبد به العابد النصراني الذي انقطع للعبادة، كما تسمى الصومعة أيضاً: الدير. والعابد يسمىٰ بالراهب. وهذه الرهبانية ابتدعها بنو إسرائيل، أما الإسلام فلا رهبانية فيه، قال خاتم الأنبياء ﷺ: «**إن لكل أمة رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيلِ الله**».

فيشرف عليها[٩] فيكلمها].
وكان يوماً يصلي إذ اشتاقت إليه أمه].
فأتته أمه وهو يصلي [فدعته][١٠].
فقالت: يا جريج [أنا أمك فكلمني
[أي جريج أشرف علي أكلمك، أنا أمك].

قال: وكان أبو هريرة يصف كما كان رسول الله ﷺ يصفها، وضع يده علىٰ حاجبه الأيمن][١١].

فقال: يا ربِّ أمي وصلاتي!![١٢] [الصلاة خير أم أمي آتيها؟]

[أجيبها أو أصلي؟].
[فأبىٰ[١٣] أن يجيبها].
[فاختار صلاته]، فأقبل علىٰ صلاته،
فانصرفت،
فلما كان من الغد أتته وهو يصلي[١٤]،

---

(٩) فيشرف عليها: ينظر جريج إلىٰ أمه من المغارة التي كانت في أعلىٰ الجبل ليحدثها.
(١٠) فدعته= نادته.
(١١) كانت أم جريج تضع يدها علىٰ حاجبها علّها ترمق جريجاً، فلقد كانت أشعة الشمس تؤذيها.
(١٢) تردد في إتمام صلاته أو قطعها ليجيب والدته.
(١٣) أبىٰ= امتنع.
(١٤) جاءته في اليوم التالي علّه يقطع صلاته أو يقصرها لتحدثه، فهي مشتاقة إلىٰ ابنها جريج الذي اعتزل البيت وهجر الناس، ولعله كان يخاف أن تؤثر عليه أمه وتثنيه عن العبادة وما فيها من انقطاع وعزلة وعزيمة.

فقالت: يا جريج،
فقال: يا ربّ، أمي وصلاتي؟
فأقبل علىٰ صلاته،
فانصرفت.
فلما كان من الغد أتته وهو يصلي.
فقالت: يا جريج،
فقال: أي ربِّ أمي وصلاتي!!
فأقبل علىٰ صلاته.
[فنادته مراراً] [فاشتد علىٰ أمه][١٥].

[فغضبت] فقالت: اللهم [إن هذا جريج وإنه ابني وإني كلمته فأبىٰ أن يكلمني اللهم فـ] لا تمته حتىٰ ينظر إلىٰ وجوه المومسات[١٦].

[ولو دعت عليه أن يفتن لافتتن!!][١٧].
فتذاكر بنو إسرائيل جُريجاً وعبادته[١٨]،

---

(١٥) فاشتد علىٰ أمه= آلمها أن ترىٰ عقوق ولدها الذي لم يرع حقها ولم يقدر المشقة البالغة التي تكابدها في طريقها إليه في كل يوم، فصومعته في منطقة نائية عن العمران وهي بلا قائد أو مساعد يحملها ويعينها.

(١٦) لا تمته حتىٰ ينظر إلىٰ وجوه المومسات= دعت الأم على ولدها فقالت= يارب لا تدعه يموت قبل أن يرىٰ وجه الزانيات العاهرات.

(١٧) يقول الرسول ﷺ: إن أم جريج لو دعت ربها بأن يقع ولدها في الزنىٰ لوقع ولكنها فقط أرادت أن تلقيه علىٰ عتبة البلاء لا في البلاء نفسه.

(١٨) جلس بنو إسرائيل في مجلسهم وأخذوا يتحدثون عن صلاح العابد جريج وتقواه.

وكانت امرأة بغي[١٩] يُتمثل بحسنها[٢٠]، [وكانت راعية ترعىٰ غنماً لأهلها].

فقالت: إن شئتم: لأفتننّه لكم،

[فقالوا: قد شئنا ذاك].

قال: فتعرضتْ له،

فلم يلتفت إليها، [وكلمته فأبىٰ][٢١].

[وكان عند صومعته راعي ضأن وراعية معزىٰ]

فأتت راعياً كان يأوي [غنمه] إلىٰ [أصل] صومعته.

فأمكنته من نفسها،

فوقع عليها،

فحملتْ،

[وكان من زنىٰ منهم قتل][٢٢].

فلما ولدت [غلاماً].

[فقالوا: ممن؟].

قالت: هو من جريج [الراهب] [صاحب الدير][٢٣] [نزل إلي فأصابني].

[فذهبوا إلىٰ الملك فأخبروه،

قال: أدركوه فأتوني به].

[فأقبلوا بفؤوسهم ومساحيهم[٢٤]، وأقبلوا إلىٰ الدير،

---

(١٩) وكانت امرأة بغي= وكان في المجلس امرأة زانية تجلس معهم وتسمع حديثهم.

(٢٠) يتمثل بحسنها= وكانت تلك البغي، يُضرب المثل بجمالها الفاتن.

(٢١) أبىٰ= رفض استدراجها وانكب علىٰ عبادته.

(٢٢) وكان من زنىٰ منهم قتل: كان في شرع بني إسرائيل وحكمهم أن الزاني يقتل.

(٢٣) صاحب الدير= صاحب الصومعة وهو المكان الذي يتعبد به جريج.

(٢٤) مساحيهم= «المساحي: جمع مِسحاة، وهي المجرفة من الحديد». النهاية في =

فنادوه،
فلم يكلمهم،
[فقالوا: أي جريج أيَ مرائي][25].
[انزل، فأبىٰ وأقبل علىٰ صلاته].
فأقبلوا يهدمون ديره،
[فما شعر حتىٰ سمع بالفؤس في أصل صومعته].
[فنزل إليهم].
فأتوه فاستنزلوه[26] [وسبُّوه] [وشتموه] وهدموا صومعته،
وجعلوا[27] يضربونه،
[فقال له الملك: ويحك يا جريج[28]!!
كنا نراك خير الناس، فأحبلت[29] هذه، فاذهبوا به فاصلبوه].
[فجعلوا في عنقه وعنقها حبلاً،
فجعلوا يطوفون بهما في الناس].
[ويقولون: مراء[30] تخادع الناس بعملك].
[فلما مروا به نحو بيت الزواني، خرجن ينظرن فتبسم!!
فقالوا: لَمْ يضحك، حتىٰ مر بالزواني!!][31].

= غريب الحديث.

(٢٥) أي جريج= يا جريج يا منافق.

(٢٦) فاستنزلوه= أنزلوه، ولكن بصورة مزرية. ويبدو أنه كان في طريقه إليهم لينكر عليهم ما يفعلون ولكنهم انهالوا عليه بالضرب وأنزلوه.

(٢٧) جعلوا= قاموا.

(٢٨) ويحك= ويل لك يا جريج.

(٢٩) أحبلت= قمت يا جريج بعمل الفاحشة مع هذه المرأة حتىٰ حملت منك غلاماً.

(٣٠) مراء= تظهر للناس عبادتك وتبطن المعاصي وتتستر بالخير والصلاح.

(٣١) لم يعلم الناس سر ابتسامته في ذلك الموقف وظنوا أن خبثه وافتتانه بالبغايا هو =

فقال: ما شأنكم؟
قالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك!!
[سل هذه المرأة!].
فقال: أين الصبي؟
فجاؤوا به، [قالوا: هاهو ذا].
فقال: دعوني حتىٰ أصلي.
[فتولوا عنه].
[فتوضأ] فصلىٰ [ركعتين]، [ودعا].
فلما انصرف.
أتىٰ الصبيّ [ثم مسح رأس الصبي].
فطعن [باصبعه] في بطنه وقال: [بالله] يا غلام، من أبوك؟
قال: فلان الراعي [أبي فلانٌ راعي الضأن].
[فسبح الناس وعجبوا][٣٢].
قال: فأقبلوا علىٰ جريج يقبلونه ويتمسحون به.
وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب [وفضة][٣٣].
قال: لا [لا حاجة لي في ذلك].
أعيدوها من طين كما كانت،
ففعلوا.
[فرجع في صومعته،

= سبب تلك الإبتسامة المريبة، وسوف نعرف في نهاية القصة لماذا ابتسم جريج حينما وصل عند بيت الزواني!!

(٣٢) فسبح الناس وعجبوا= قالت تلك الجموع التي كانت تحيط بجريج: سبحان الله الذي أنطق هذا الرضيع!!

(٣٣) هذه الزيادة عند مسلم في رواية أخرىٰ.

فقالوا له: بالله مم ضحكت؟

فقال: ما ضحكت إلا من دعوة دعتها علي أمي][٣٤].

[فأبرأ الله جريجاً وأعظم الناس أمر جريج][٣٥].

[قال: لو كان جريج فقيهاً لعلم أن إجابة أمه أولىٰ من عبادة ربه][٣٦].

وبينا صبي [من بني إسرائيل] يرضع من أمِّه[٣٧]،

فمر رجل راكب علىٰ دابة فارهة[٣٨]،

وشارة حسنة[٣٩]،

فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا[٤٠]،

فترك الثدي وأقبل إليه، فنظر إليه[٤١]، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل علىٰ ثديه، فجعل يرتضعُ،

قال: فكأني أنظُر إلىٰ رسول الله ﷺ وهو يحكي[٤٢] ارتضاعه بإصبعه السبّابة

---

(٣٤) يبدو أن جريجاً قد عاد إلىٰ صومعته وحصلت معه هذه الفتنة بعد وفاة والدته، وقد فهم الدرس وأخذ العبرة!!

(٣٥) ظهرت براءة جريج بفضل الله ومنّته، كما عظُم شأنه وقدره بين قومه.

(٣٦) لأنه شغل نفسه بعبادة تعتبر نافلة في حين أن إجابة والدته فريضة محكمة.

(٣٧) والآن قصة الرضيع الثالث الذي تكلم في المهد إذ ذكر النبي ﷺ أن سيدنا عيسىٰ عليه السلام قد تكلم في المهد ثم سرد قصة جريج ذلك العابد المفتون والآن يواصل الحديث عن الرضيع الثالث.

(٣٨) كان الفارس يمتطي جواداً مهيباً قوياً.

(٣٩) وشارة حسنة= كما كان الفارس علىٰ هيئة ظاهرة الجمال، وملبسٍ حسن، فالناس يشيرون إليه ويُعجبون به.

(٤٠) تمنت الأم لولدها مستقبلاً زاهراً كمستقبل هذا الفارس المهيب.

(٤١) نظر الرضيع إلىٰ الفارس وقال: . . .

(٤٢) يحكىٰ= وهنا يبين الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي قام بتصوير هذا المشهد وتمثيله علىٰ تلك الشاكلةِ.

في فمه،
فجعل يَمُصُّها.
قال: ومرُّوا بجارية وهم يضربونها ويقولون: زنَيتِ سَرَقْتِ،
وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل،
فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها،
فترك الرَّضاع ونظر إليها فقال: اللهم اجعلني مثلها،
فهناك تراجعا الحديث[٤٣].
فقالت: حلقىٰ[٤٤]! [لم ذاك؟]
مر رجل حسن الهيئة فقلتُ: اللهم اجعل ابني مثله،
فقلتَ: اللهم لا تجعلني مثله،
ومروا بهذه الأمَةِ وهم يضربونها ويقولون: زنَيتِ سرقتِ، فقلتُ: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقلتَ اللهم اجعلني مثلها!
قال: [يا أماه] إن ذلك الرجل كان جباراً [من الجبابرة]. [وفي رواية البخاري: أما الراكب فإنه كافر].
فقلت: اللهم لا تجعلني مثله.
وإن هذه: يقولون لها: زنيتِ، ولم تزن،
وسرقتِ، ولم تسْرِق.

---

(٤٣) بعدما نطق الرضيع للمرة الثانية أيقنت أن طفلها بحق وحقيقة يتكلم ففي المرة الأولىٰ سكتت وغيوم الحيرة والذهول تخيم علىٰ ذهنها. فهناك تراجعا الحديث= في هذه اللحظة دار الحوار، فسألت الأم ولدها، وقام ولدها الرضيع بالإجابة علىٰ ذلك السؤال..

(٤٤) حلقى= «كلمة تقال لمن يستوجب الدعاء عليه، أي أصابه وجع في حلقه» الفتح الرباني ج ٢٠ ص١٥٠ وهنا حلقى: للتعجب.

[وهي تقول حسبي الله]
فقلت: اللهم اجعلني مثلها[٤٥].

متفق عليه واللفظ لمسلم[٤٦].

* * *

(٤٥) اجعلني مثلها= في الطهر والبعد عن المعاصي.
(٤٦) ذكره مسلم في كتاب البر والصلة باب تقديم بر الوالدين على العبادة، المختصر ص٤٦٨ رقم الحديث ١٧٥٥ شرح النووي جـ ١٦ ص١٠٦، صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، والزيادات المذكورة في الحديث اجتهدت في إدراجها حسب المواقف وقد ذكر أغلبها العسقلاني في شرحه وكان اعتماده على ما في المسند، للإمام أحمد فليراجع، انظر الفتح الرباني جـ ٢٠ ص١٥٠ وأيضاً ابن كثير البداية والنهاية جـ ٢ ص١٣٤ إلى ص١٣٦.

ويستفاد من القصة:

١) «عظم بر الوالدين وإجابة دعائهما ولو كان الولد معذوراً، لكن يختلف الحال في ذلك بحسب المقاصد.

٢) الرفق بالتابع إذا جرىٰ منه ما يقتضي التأديب لأن أم جريج مع غضبها لم تدع عليه إلا بما دعت به خاصة، ولولا طلبها الرفق به لدعت عليه بوقوع الفاحشة أو القتل.

٣) أن صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن.

٤) قوة يقين جريج وصحة رجائه، لأنه استنطق المولود مع كون العادة أن لا ينطق، ولولا صحة رجائه بنطقه ما استنطقه.

٥) وفيه أن الأمرين إذا تعارضا بدىء بأهمهما.

٦) إن الله عز وجل يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج، وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم في بعض الأوقات تهذيباً وزيادة لهم في الثواب.

٧) إثبات كرامة الأولياء ووقوع الكرامة لهم باختيارهم وطلبهم.

٨) جواز الأخذ بالأشد في العبادة لمن علم من نفسه قوة علىٰ ذلك.

٩) كان في شرع بني إسرائيل أن المرأة تُصدَّق فيما تدعيه علىٰ الرجال من الوطء ويلحق به الولد، وأنه لا ينفعه جحد ذلك إلا بحجة تدفع قولها.

١٠) أن المفزع في الأمور المهمة إلىٰ الله يكون بالتوجه إليه في الصلاة والدعاء.

١١) الوضوء لا يختص بهذه الأمة خلافاً لمن زعم ذلك، وإنما الذي يختص بها الغرة والتحجيل في الآخرة[٤٧].

١٢) أن نفوس أهل الدنيا تقف مع الخيال الظاهر فتخاف سوء الحال، بخلاف أهل التحقيق فوقوفهم مع الحقيقة الباطنة فلا يبالون بذلك مع حسن السريرة كما قال تعالىٰ حكاية عن أصحاب قارون حيث خرج عليهم: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾[٤٨].

١٣) إن البشر طبعوا علىٰ إيثار الأولاد علىٰ الأنفس بالخير لطلب المرأة الخير لابنها ودفع الشر عنه ولم تذكر نفسها»[٤٩].

١٤) العالم خير من العابد وفي الحديث: «**فضل العالم علىٰ العابد كفضلي علىٰ أدناكم**»[٥٠] وقال ﷺ: «**فضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب**». «**إن العلماء ورثة الأنبياء**»[٥١]. وما أجمل الحكمة المذيلة بنهاية قصة جريج العابد في قول الرسول ﷺ: «**لو كان جريج فقيهاً لعلم أن إجابة أمه أولىٰ من عبادة ربه**». ولهذا قال بعض

---

(٤٧) يشير إلىٰ قوله ﷺ في فضل الوضوء: إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غُرّته فليفعل. فتح الباري جـ ١ ص٢٣٥ «والغرة غسل شيء من مقدم الرأس أو ما يجاوز الوجه زائداً علىٰ الجزء الذي يجب غسله. والتحجيل غسل ما فوق المرفقين والكعبين وهما مستحبان». . انظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ١ ص١٥٣.

(٤٨) سورة القصص: الآية ٧٩.

(٤٩) فتح الباري جـ ٦ ص٤٨٣ باختصار وتصرف.

(٥٠) صحيح الجامع الصغير رقم الحديث ٤٢١٣.

(٥١) رواه أبو داود والترمذي ـ التاج الجامع جـ ١ ص٦٣.

السلف الصالح: «طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة»[٥٢] «ليس شيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم»[٥٣].

١٥) المسلم المتبصر لا يشغل نفسه ومجتمعه بالنوافل ويغفل عن الفرائض، فلا يقيم سنة على أنقاض فريضة، ومن هنا تبرز أهمية الفقه بالدين، ومعرفة سلّم الأوليات.

يُروى أن أحد العلماء الأفاضل سئل عن عدد ركعات صلاة التراويح بعدما تفاقم الخلاف بين رواد المسجد ووصل بهم إلى هاوية التناحر والخصام، فقال العالم وبنظرة ثاقبة: أرى إغلاق المسجد على الفور!!

فالقيام سنة مؤكدة وعبادة مستحبة بينما وحدة الصف وسلامة القلب فريضة واجبة.

١٦) الثلاثة الذين تكلموا في المهد لعب الدعاء دوراً كبيراً في تحديد مصائرهم وبناء مستقبلهم، فأم مريم دعت لمريم قائلة: ﴿إِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[٥٤] ولقد سمعنا دعاء أم جريج العابد وكذلك دعاء أم الرضيع الحكيم وتصويب الولد لذلك الدعاء.

فإن كان الدعاء عبادة بل مخ العبادة، فعلى الأم خاصة أن ترعى ولدها بالدعاء وعليها أن تلح في الدعاء، ومن الغرائب التاريخية التي تحكي كيف لعب الدعاء دوره وظهر أثره في حياة الأبناء، ما نجده في سيرة الإمام البخاري رحمه الله وهو من الرواة الذين خرّجوا القصة السابقة.

---

(٥٢) (٥٣) مفتاح دار السعادة ص١٧٧، ص١٩٩، هاتان العباراتان للإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

(٥٤) سورة آل عمران: الآية ٣٦.

وكتابة «صحيح البخاري» يعد أوثق وأصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل، الشاهد أنه «ذهبت عيناه في صغره فرأت والدته الخليل إبراهيم في المنام فقال لها: يا هذه قد رد الله علىٰ ابنك بصره بكثرة دعائك، فأصبحت وقد ردّ الله علىٰ ولدها بصره»[٥٥].

١٧) تهب رياح الفتن وتعصف بالمجتمعات إذا غوت المرأة وانحرفت عن الصراط، والقرآن الكريم آثر أن يقدم ذكر الزانية علىٰ الزاني في الرجم فقال في محكم التنزيل ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾[٥٦]. فالمرأة هي التي تحرك رحىٰ الفتنة غالباً.

١٨) حسبي الله ونعم الوكيل دعاء كل مظلوم يريد العون من الله تعالىٰ.

١٩) الاحتراس من الدعاء في ساعة الغضب وفي الحديث: «**لا تدعوا علىٰ أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون علىٰ ما تقولون**»[٥٧] أي أن الملائكة تقول بعد الدعاء اللّهم آمين، ولقد حذرنا الرسول من أن نؤتىٰ من هذا الباب فقال ﷺ: «**لا تدعوا علىٰ أنفسكم، ولا تدعوا علىٰ أولادكم، ولا تدعوا علىٰ خدمكم، ولا تدعوا علىٰ أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجاب لكم**»[٥٨].

٢٠) من هدي النبي ﷺ في رواية القصة الاستعانة بتمثيل بعض الحركات والأفعال الهامة لنقل الصورة المتحركة للخبر بدقة وإثارة وطرافة.

٢١) كان الزاني يُقتل في شرع بني إسرائيل فانظر كيف حرّفوا دينهم!!

---

(٥٥) انظر هدي الساري مقدمة فتح الباري ص٤٧٨.

(٥٦) سورة النور الآية ٢.

(٥٧) (٥٨) رواهما مسلم في صحيحه، انظر صحيح الجامع الصغير رقم الحديث

تنبيه:

قوله ﷺ: «**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة**» فذكرهم وليس فيهم الصبي الذي كان مع المرأة في حديث الساحر والراهب (قصة الغلام المؤمن) وجوابه أن ذلك الصبي لم يكن في المهد بل كان أكبر من صاحب المهد وإن كان صغيراً»[٥٩].

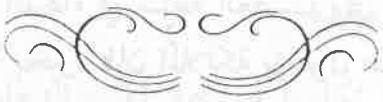

٧٢٦٦ - ٧٢٦٧.

(٥٩) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٦ ص١٠٦ بتصرف.

القصة السابعة:

شهيد منتظر

ستحدث في آخر الزمان فتنة عظيمة عندما يظهر رجلٌ يوصف بأنه «المسيح الدجال»[1]، وسيخرج هذا الرجل من بلاد فارس من منطقة تسمىٰ خراسان يدعي النبوة أولاً ويتبعه خلق كثيرون، هو رجل قصير، أعور العين، جسيم أحمر اللون، جعد الرأس، مكتوب بين عينيه كافر وهذه الكلمة يقرؤها كل مؤمن سواء كان يعرف القراءة والكتابة أو لا يعرف.يسيح الدجال في الأرض ويعيث فيها فساداً ويجوب البلاد كلها عدا مكة المكرمة والمدينة المنورة فلا يدخلهما.

ثم يدعي الألوهية من بعد النبوة، ويعطيه الله استدراجاته مثل صورة الجنة والنار، فمن يدخل جنته يصلىٰ فيها عذاب جهنم جزاء كفره بالله، ومن يثبت علىٰ إيمانه بالله يدخله الدجال ناره، ولكن فيها نعيم جنة الله، وسيكون الدجال شديد البطش يهابه كل من يراه، ويفرّ منه، ولكن يصمد في وجهه شاب شجاع، فارس مغوار لا يشق له غبار، هو رمز البطولة والتضحية والفداء، استحكم الإيمان في قلبه فأصبح قوياً جلداً، ثباته في مواطن الشدة، ومواقف البلاء، هو ثبات الجبال الشمّ الرواسي.

هذا الشاب هو أعظم الناس شهادة في سبيل الله عز وجل، فهو لم

---

(١) المسيح= الأعور. الدجال= الكذاب. ويسمى المسيح والمسيخ.

يقف أمام سلطان جائر ليصدع بالحق، ولكنه اصطدم بالمسيح الدجال الذي تعوذ من شره الأنبياء، وحذّر منه الرسول ﷺ بأحاديث كثيرة.

إن المؤمن إذا واجه الدجال فُتِن وانقلب علىٰ عقبيه، فالدجال كالغيث استدبرته الريح في سرعته، الشياطين طوع أمره، ورهن إشارته، كما أن الحيوانات والجمادات تستجيب له، فمن ذا الذي يقف أمامه ومعه ما معه من طاقات وإمكانات مذهلة علىٰ هذا النحو!؟ إنها أشد فتنة ينتظرها العالم وستشهدها البشرية قاطبة، رجل يأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت.. إذا سار خرجت معه الكنوز من مكامنها تتبعه كأنها يعاسيب النحل!!

لا ريب أن الذي سيتحداه رجل قوي الإيمان، قوي الجسم، ربط الله عز وجل علىٰ قلبه وزاده هداية وبأساً، إنه الشاب الذي يُفحِم الدجال ويقصم حجته بادعاء الربوبية يأتي الدجال إلىٰ المدينة المنورة فلا يستطيع أن يدخلها، فالملائكة باسطة أجنحتها، وقد ضربت حولها طوقاً محكماً وحاجزاً أميناً، لا يجسر الدجال أن يخترق هذا الحاجز أو أن ينفذ من خلاله.

وبينما الدجال رابض حول المدينة ومعه حرّاسه وأتباعه إذ بشاب يافع ينهد[٢] إليه بحزم وعزم يذهلانه ويذهلان أتباعه، يخرج إليهم من المدينة الآمنة كالصارم المسلول يفارق غمده وبيته وحيداً عزيزاً، هو شاب عشق الشهادة فتقدم إليها بشوق وثبات، يريد أن يكشف للمغرورين المخدوعين زيف الدجال وكذبه، فهل ينجح في أن يكسر شوكة الدجال وهيبته؟

---

(٢) ينهد= يخرج لمحاربته.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه* قال: قال رسول الله ﷺ يخرج الدجال فيتوجه قِبَلَهُ رجل من المؤمنين[٣]،
[وفي رواية: يأتي الدجال - وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة[٤].
فينزل بعض السِّباخ[٥] التي تلي المدينة[٦]،
فيخرج إليه يومئذ رجل هو خيرُ الناس - أو من خيار الناس -][٧]
فتلقاه المسالح[٨]
مسالح الدجال[٩]
فيقولون له: أين تعمد[١٠]؟

---

* ترجمة راوي القصة (أبي سعيد الخُدريّ ؟ - ٧٤هـ) هو سعد بن مالك بن سنان. أنصاري مدني، من صغار الصحابة وخيارهم. كان من المكثرين للرواية عن النبي ﷺ، فقيهاً مجتهداً مفتياً ممن بايعوا رسول الله ﷺ ألا تأخذهم في الله لومة لائم. شهد معه الخندق وما بعدها.
الموسوعة الفقهية جـ ١ ص٣٣٦.

(٣) عندما يخرج الدجال في آخر الزمان يتوجه نحو المدينة المنورة فلا يستطيع دخولها لحفظ الله لها فيقف قريباً منها، ويخرج إليه رجل من المؤمنين.

(٤) نقاب= طرق.

(٥) فينزل بعض السباخ= السبخة هي الأرض الرملية التي لا تُنبت لملوحتها، وهذه المنطقة، خارج المدينة.

(٦) تلي المدينة= من جهة الشام.

(٧) متفق عليه، راجع فتح الباري جـ ١٣، ص١٠١ وشرح مسلم للنووي جـ ١٨ ص٧١ وجميع الزيادات التي أدرجتها في صلب الحديث هنا هي من المرجعين السابقين فالحديث ورد بلفظين فيهما بعض الزيادات.

(٨) تلقاه المسالح= تعترضه فرقة المراقبة وهم يحملون السلاح.

(٩) مسالح الدجال= فرقة أمنية تابعة للدجال ترصد وتستطلع.

(١٠) أين تعمد= إلىٰ أين أنت ذاهب؟

فيقول: أعمد إلىٰ هذا الذي خرج[11].

قال: فيقولون له: أوما تؤمن بربنا؟

فيقول: ما بربِّنا خفاء[12].

فيقولون: اقتلوه!!

فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه[13]!

قال: فينطلقون به إلىٰ الدّجال،

فإذا رآه المؤمن، قال: يا أيها النّاس هذا الدّجال الذي ذكره رسول الله ﷺ.

[أشهد أنك الدجّال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه.

فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلتُ هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر؟

فيقولون[14]: لا].

قال: فيأمر الدجال به فَيُشَبَّح[15]، فيقول: خذوه وشجوه[16].

فيُوسع ظهرُهُ وبطنه ضرباً[17].

قال[18]: فيقول: أوما تؤمن بي؟

---

(١١) يقول الرجل المؤمن ساخراً إني ذاهب إلىٰ ربكم الدجال.

(١٢) ما بربنا خفاء= أنا أعرف أن ربي ليس بأعور وربكم الذين تدعون أعور، فالأمر واضح ليس فيه خفاء أو لبس.

(١٣) يريد بعض أعضاء الفرقة أن يقتلوا المؤمن لكنهم يُجمعون أمرهم علىٰ تسليمه للدجال ليبت في أمره، فلقد عهد إليهم أن لا يقتلوا أحداً دون أمره.

(١٤) فيقولون= لا، أي أننا سوف نؤمن بأنك ربنا إذا أنت أمتّه وأحييته.

(١٥) يأمر الدجال جنوده أن يمسكوا الرجل، فيشبح= ويمد علىٰ بطنه.

(١٦) شجوه= اضربوه واجرحوه.

(١٧) فيوسع ظهره وبطنه ضرباً= يقوم أعوان الدجال بضرب الرجل المؤمن علىٰ ظهره وبطنه ضرباً كثيراً مبرحاً.

(١٨) قال= الرسول ﷺ.

قال: فيقول: أنت المسيح الكذاب!!
قال: فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقه[١٩] حتىٰ يُفرَّق بين رجليه،
قال: ثم يمشي الدّجال بين القطعتين،
ثم يقول له: قم!!
فيستوي قائماً!!
قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟[٢٠]
فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة[٢١].
قال: ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعلُ بعدي بأحد من الناس[٢٢].
قال: فيأخذه الدّجال ليذبحه،
فيُجعل ما بين رقبته إلىٰ تَرْقُوته نحاساً[٢٣]،
فلا يستطيع إليه سبيلاً[٢٤]،
[فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلّط عليه][٢٥]
قال: فَيَأْخُذُ بيديه ورجليه فيقذفُ به،

---

(١٩) فيؤشر بالمئشار= ينشر من رأسه حتىٰ يصير قطعتين، وهذه أمور ظاهرية بفعل السحر والشعوذة انظر التاج الجامع ج ٥ ص٣٥٣. المئشار= المنشار الذي ينشر به الخشب. مفرقه= وسط رأسه.
(٢٠) أتؤمن بي= هل تؤمن بأنني (أي الدجال) إله أحي وأميت..؟
(٢١) والرواية الأخرىٰ «والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم».
(٢٢) يقول الرجل المؤمن للناس: لن يفعل الدجال مثل هذا في أحد بعدي فلا تخافوا.
(٢٣) ترقوته= هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق. والمراد أن رقبته كلها تصبح نحاساً فلا يصل الدجال إليه.
(٢٤) يعجز الدجال عن قتله حقيقة، بل قد نفد صبره واشتد غضبه أمام هذا الرجل المؤمن الصلب، في إيمانه وجسده.
(٢٥) فلا يسلط عليه= فلا يقدر علىٰ قتله.

فيحسبُ النّاس أنّما قذفه إلىٰ النار
وإنما أُلقِيَ في الجنة.
فقال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين[٢٦].

رواه مسلم[٢٧].

* * *

(٢٦) أعظم شهيد قتل في سبيل الله.

(٢٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة، شرح النووي جـ ١٨ ص٧٣ وقد تتساءل أخي القارىء فتقول: أين يعيش الدجال الآن؟ وما هي نهايته؟ فأقول: ستجد الإجابات الوافية في الجزء الثالث من هذه السلسلة القصصية إن شاء الله تعالىٰ.

ويستفاد من القصة:

١) الدجال فتنة عظيمة سيبتلىٰ بها الناس، وفي سنن ابن ماجه «**يا أيها الناس، إنها لم تكن فتنة علىٰ وجه الأرض، منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم فتنة من الدجال، وإن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا حذر أمته من الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة**».

٢) العلم المتين والإيمان العميق يقودان إلىٰ النجاة والفلاح.

٣) للدجال جنود يحرسونه ويذودون عنه وفي هذا دليل علىٰ حقارة أمره وهوان شأنه فكيف يدعي الألوهية من يحتاج إلىٰ الأمن من غيره، إن الفاجر مهما تجبر وملك فهو جبان رعديد ألا ترىٰ أن الدجال رصد لنفسه حراساً علىٰ مشارف المدينة!!

٤) للدجال قدرات خارقة ولكنها لا تنفع ولا تضر إلا بإذن الله عز وجل.

٥) «يدعي الدجال الألوهية، ويعطىٰ من الإمكانات أموراً مذهلة تفتن الناس فتنة عظيمة»[٢٨].

٦) يزحف الدجال إلىٰ المدينة فلا يستطيع أن يدخلها، وفي الحديث: «**ليست من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة حافين، تحرسها فينزل بالسبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، يخرج إليه منها، كل كافر ومنافق**».

---

(٢٨) د. عمر الأشقر ـ اليوم الآخر ج ١ ص٢٣٧.

٧) مع الدجال مثل الجنة والنار، وفي صحيح مسلم «**وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار، فالتي يقول: إنها الجنة هي النار**»، وفي رواية أخرىٰ: «**إن الدجال يخرج، وإن معه ماءً وناراً، فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق، وأمّا الذي يراه الناس ناراً، فماء بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً، فإنه ماء عذب طيب**».

٨) للشهادة في سبيل الله عز وجل درجات ومراتب يتفاوت في فضلها الشهداء.

٩) العقيدة السليمة تنجي العبد من أكاذيب الدجال ووساوس الشياطين.

١٠) الله عز وجل يخرق النواميس علىٰ يد الكذابين من باب الاستدراج والابتلاء ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[٢٩].

١١) فضل معرفة السنة النبوية المطهرة وانتفاع المؤمنين بمعرفة أوصاف الدجال.

١٢) الصراع بين الحق والباطل صراع أزلي لا ينتهي.

١٣) من أنواع القصص النبوي وموضوعاته القصص الغيبي.

١٤) الابتلاءات تزيد المؤمن إيماناً ويقيناً وبصيرة.

١٥) الخير ماض في هذه الأمة إلىٰ أن يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها، ورجال الإيمان سند هذه الأمة لن يبخلوا بدمائهم وأرواحهم في سبيل إعلاء راية الحق، وهذا وعد إلٰهي محقق، قال تعالىٰ: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن

---

(٢٩) سورة القلم الآيتان ٤٤-٤٥.

يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾[٣٠] . وقال ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله عز وجل»[٣١] .

١٦) النصر الحقيقي هو الثبات على الحق .

لطيفة :

وهنا ملحظ لطيف نستشفه من تلك الشخصية الفذة التي كانت محور القصة دون أن يُذكر اسمه، فهو رجل مؤمن وفي عدم التصريح باسمه هدف جميل وغاية نبيلة مقصودة، وإنك إذا أمعنت النظر، وأنعمت الفكر في القرآن الكريم ستلاحظ ما هو على هذه الشاكلة إذ تُسحب الأسماء وتبقى المواقف، وتحجب الرسوم لتظل الحقائق . فالأبطال في سورة الكهف أشارت الآية إلى أنهم «فتية» والرجل الذي قطع البلاد لينذر موسى عليه السلام من كيد الكافرين قالت الآية عنه فى سورة القصص : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾[٣٢]

وقال في سورة أخرى : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾[٣٣] وقال عز من قائل : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾[٣٤] .

---

(٣٠) سورة الأحزاب : الآية ٢٣ قضى نحبه= مات واستشهد .

(٣١) رواه مسلم كتاب الإيمان، وأحمد في المسند ج ١ ص٢٧٩ عن ثوبان رضي الله عنه .

(٣٢) الآية : ٢٠ .

(٣٣) سورة يس : الآية ٢٠ .

(٣٤) سورة غافر : الآية ٢٨ .

والرسول ﷺ في هذه القصة يصف الرجل الشجاع بأنه «رجل من المؤمنين». إن القرآن الكريم والسنة النبوية يركزان على الحقائق الكبرى فلا ينبغي أن تزاحمها الصور والأشكال، إن الأسماء قد تتغير وتتبدل ولكن القيم والمثل والمبادىء ثابتة راسخة فمن الحكمة أن نبرز القيم ونركز على إظهارها لتتضح العبرة من القصة بجلاء ووضوح ويجب أن لا نهتم بالواجهات والمسميات بقدر ما نهتم بالمضمون.

وكثيراً ما تضيع المبادىء في زحمة الشعارات البراقة والهتافات الهادرة، وكم من أسماء ظهرت وملأت طباق الأرض عويلاً وصراخاً دون أن نرى لها عملاً صالحاً أو فعلاً نافعاً؟! ومن أسرار إغفال الأسماء وإسدال الستار عليها أنها تربينا على العطاء بإخلاص دونما رياء، فالمصلح لا يبتغي شهرة، أو محمدة، أو رفعة، لأن عينه تنظر إلى ما عند الله. إلى جنة عرضها السموات والأرض، فهو عامل ينهج درب الأتقياء، كصاحب النقب المجهول، ومحب موسى الناصح، والرجل المؤمن الذي سيخرج من المدينة المنورة، كلهم آثروا أن يتستروا بوشاح الإخلاص. فكل منهم عامل لدينه، يبذل ما عنده ولا ينتظر من الناس جزاءً ولا شكوراً، فهو يؤدي واجبه نحو دينه وتجاه ربه.

وحينما تصبح التضحية شعار الأمة، والإخلاص دثارها، تنهض من غفلتها وتعيد - لا محالة - أمجادها، إن العاملين المخبتين من الأخفياء الأنقياء هم سر نجاح الدعوات وسعادة المجتمعات، ولن تعيش النفس كريمة إن هي لم تكن جسراً للمسلمين وسُلّماً للإسلام.

تعليق:

«وقد جاء في الأحاديث الصحيحة «**من حفظ عشر آيات من سورة الكهف عُصم من فتنة الدجال**» وجاء في بعضها من أول سورة الكهف، وفي بعضها من آخر سورة الكهف.

وقد يُقال: لم كانت قراءة فواتح سورة الكهف، وخواتمها أماناً من الدجال؟ قال بعضهم: لأن الله أخبر في طليعة هذه السورة أن الله أمّن أولئك الفتية من الجبار الطاغية الذي يريد إهلاكهم، فناسب أن من قرأ هذه الآيات وحاله كحالهم أن ينجيه كما أنجاهم.

وقد قيل: لأن في أولها من العجائب والآيات التي تثبت قلب من قرأها بحيث لا يفتن بالدجال، ولا يستغرب ما جاء به الدجال، ولم يلهه ذلك، ولم يؤثر فيه»[٣٥].

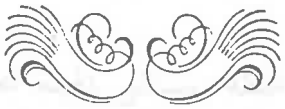

---

(٣٥) د. عمر الأشقر ـ القيامة الصغرىٰ ـ ص٢٤٧.

القصة الثامنة:

ارحموا ترحموا

نبينا ﷺ هو نبي الرحمة بعثه الله رحمة للعالمين. وتعاليم الإسلام تحث المسلم على الإحسان حتى إلى الحيوان لأنه مخلوق سخّره الله لنا، علينا أن نعامله برفق، ولقد شهد عهد النبوة ميلاد كلمات رائدة أصاخ لها سمع الزمان كقوله ﷺ:

«والشاة إن رحمتها رحمك الله»[1].

«من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله يوم القيامة»[2].

«اتقوا الله في هذه البهائم»[3].

«ما من إنسان يقتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله عنها يوم القيامة»[4].

ولهذا عجّت كتب الفقه بمسائل دقيقة تحدد شروط الصيد وذبح الحيوانات كما أمر الشارع الحكيم، كما نجد صدى تلك الكلمات الخالدة في أفعال وآثار الصحابة ومن بعدهم، من رفق بالحيوانات وإرشاد إلى التلطف بها.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (جـ ٣ ص٤٣٦).

(٢)(٣) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة الحديث رقم ٢٧، ٣٣.

(٤) رواه النسائي والحاكم، انظر د. يوسف القرضاوي ـ الحلال والحرام ـ ص٦٤.

وها هو عمر يضرب جمّالاً ويقول له: «لم تحمل علىٰ بعيرك مالا يطيق» وعندما رأىٰ رجلاً يحد شفرته ليذبح شاته ضربه بالدرة[٥] وقال: «أتعذب الروح؟! ألا فعلت هذا قبل أن تأخذها؟!»[٦].

إن التربية النبوية هي التي صاغت من عمر الفظّ الغليظ رجلاً رحيماً حليماً!! وكان الأمر والنهي والتوجيه والإرشاد من الأساليب النبوية المتعددة في تربية الأمة علىٰ مبدأ الرفق بالحيوان، إلىٰ جانب ذلك استخدم الرسول ﷺ وسيلة عميقة الأثر ألا وهي الترغيب والترهيب من خلال القصة القصيرة.

ففي الترهيب قال ﷺ: «**عُذبت امرأة في هرة سجنتها حتىٰ ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**». ودعونا الآن ننتقل إلىٰ الأسلوب النبوي في الترغيب بالقصة بشكل موسع ومستقل:

* * *

(٥) الدرة= السوط.

(٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة ـ ص٣٥، ٣٦.

عن أبي هريرة رضي الله عنه* أنَّ رسول الله ﷺ قال:

«بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطشُ،
فوجد بئراً،
فنزل فيها فشرب،
ثم خرج،
فإذا كلبٌ يلهث[٧]، يأكل الثرىٰ[٨] من العطش،
فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ منّي،
فنزل البئر فملأ خُفَّهُ[٩] ماءً ثم أمْسَكه[١٠] بفيه[١١] حتىٰ رَقِي[١٢]، فسقىٰ الكلب،
فشكر الله له[١٣]، فغفر له [فأدخله الجنة].

---

* ذكرنا ترجمة أبي هريرة في القصة الأولىٰ.

(٧) يلهث= أخرج الكلب لسانه من شدة العطش. قال العسقلاني: «واللهث بفتح الهاء هو ارتفاع النفس من الإعياء والتعب».

(٨) الثرىٰ= التراب الرطب الندي.

(٩) خفّه= الخف «ما يلبس في الرِّجْل من جلد رقيق» المعجم الوسيط.

(١٠) ثم أمسكه= «أي أخذ خفه الذي فيه الماء، وإنما احتاج إلىٰ ذلك لأنه كان يحاول بيديه ليصعد من البئر، وهو يُشعرنا بأن الصعود منها كان عسيراً» فتح الباري ج ٥ ص٤١ بتصرف.

(١١) بفيه= بفمه. والأسماء الخمسة ترفع بالواو وتنصب بالألف وتجر بالياء.

(١٢) رقِيَ= صعد.

(١٣) فشكر الله له= قبل الله عز وجل عمله وصنيعه.

قالوا[١٤]: يا رسول الله: وإنّ لنا في هذه البهائم لأجراً[١٥]؟
فقال: «في كلِّ كبدٍ رَطْبَةٍ أجرٌ»[١٦].

متفق عليه واللفظ لمسلم[١٧].

* * *

---

(١٤) قالوا= الصحابة رضي الله عنهم.
(١٥) هل نؤجر على الإحسان إلى الحيوان؟
(١٦) في كل كبد رطبة أجر= إن الأجر والمثوبة تحق لكل من يُحسن إلى الأحياء من حيوان أو نبات.. «وسمي الحي ذا كبد رطبة، لأن الميت يجف جسمه وكبده». مختصر صحيح مسلم للألباني ص٣٩٦.
(١٧) الحديث رواه البخاري كتاب المساقات باب فضل سقي الماء (جـ ٥ ص٤١ فتح الباري) وكتاب المظالم باب الآبار التي على الطريق إذا لم يتأذ بها. (فتح الباري جـ ١٠ ص١١٣) وفي كتاب الأدب باب رحمة الناس بالبهائم (فتح الباري جـ ١٠ ص٤٣٧، ص٤٣٨). ورواه مسلم كتاب قتل الحيات وغيرها باب سقي البهائم (انظر المختصر رقم الحديث ١٥٠٥ وشرح النووي جـ ١٤ ص٢٤١).

ويستفاد من القصة:

١) «جواز السفر منفرداً وبغير زاد، ومحل ذلك في شرعنا ما إذا لم يخف علىٰ نفسه الهلاك»[١٨]. ولكن الأصل اصطحاب الرفقة الآمنة الصالحة، يقول الرسول ﷺ: «**لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سرىٰ راكب بليل وحده**»[١٩]. لأنه عرضة للضياع والضلال أكثر، كما أنه إذا مرض أو مات لم يجد المساعد ليقوم بالواجب.

٢) «الحث علىٰ الإحسان إلىٰ الناس، لأنه إذا حصلت المغفرة بسبب سقي كلب فسقىٰ المسلم أعظم أجراً.

٣) جواز صدقة التطوع للمشركين، وينبغي أن يكون محله ما إذا لم يوجد مسلم هناك، فالمسلم أحق»[٢٠]. ودليل الجواز قوله ﷺ: «**في كل كبد رطب أجر**».

٤) «فضل الإحسان إلىٰ كل مخلوق ذي حياة، وأن ذلك من أعمال الخير التي يكافىء الله عز وجل عليها بالثواب العظيم، وتكون سبب المغفرة.

٥) فضل سقي الماء، وخاصة ما كان زائداً علىٰ حاجته وحاجة عياله وماشيته، فإنه يجب بذله لمن كان محتاجاً إليه من إنسان وغيره، وكان من أفضل القربات إلىٰ الله عز وجل.

٦) عموم رحمة الله سبحانه وتعالىٰ حتىٰ شملت الحيوان لأنه من مخلوقاته»[٢١].

---

(١٨) (١٩)(٢٠) فتح الباري جـ ٥ ص٤٣، الحديث أخرجه البخاري، الفتح رقم ٢٩٩٨ جـ ٦ ص١٣٨.

(٢١) نزهة المتقين جـ ١ ص١٥٥، ١٥٦.

٧) من جوامع الكلم النبوي قوله ﷺ: «**في كل كبد رطبة أجر**». ونظيره كثير كقوله عليه الصلاة والسلام: «**إنما الأعمال بالنيات**» «**الدين النصيحة**» «**المرء مع من أحب**» «**لا ضرر ولا ضرار**». . وهو من أركان البلاغة النبوية ودعائمها التي تقوم على الخلوص والقصد والاستيفاء[٢٢].

٨) الجزاء من جنس العمل وفي الحديث: «**ارحم من في الأرض، يرحمك من في السماء**»[٢٣].

٩) الكائنات الحية لا تستغني عن الماء، فكل كبد رطبة تحتاج للماء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[٢٤].

١٠) تفاعل الصحابة وحرصهم على توجيه الأسئلة، وهكذا كان المعلم الأول يجيب عن أسئلتهم بكل تواضع ودقة وصبر ليقرر لهم: إن السؤال نصف العلم.

١١) «الخلق كلهم عباد الله وأحبهم إليه أنفعهم لعباده»[٢٥].

١٢) «سعة فضله سبحانه فقد يغفر الذنوب الكبيرة بعمل الخير اليسير»[٢٦].

١٣) البهيمة كلمة قد تطلق على الحيوان الذي لا يؤكل لحمه مثل الكلب.

---

(٢٢) راجع إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص٣٣٨ وما بعدها.
(٢٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم الحديث ٨٩٦.
(٢٤) سورة الأنبياء الآية ٣٠.
(٢٥) التاج الجامع للأصول ـ ج ٢ ص٢٤٠.
(٢٦) نزهة المتقين ج ١ ص١٥٦.

التنبيه الأول:

من أشكال الجهل الفاضح الناجم عن التقليد والانبهار بكل ما هو غربي، هو ما نراه من بعض المسلمين المترفين ممن يقتنون الكلاب ويعتنون بها في بيوتهم دون وجود حاجة أمنية لها!!

وهذا مخالف لصريح الأوامر النبوية فلقد «نهىٰ الرسول ﷺ عن مخالطة الكلاب، وحذر من ولوغها في أواني الطعام والشراب، وحذر من اقتنائها لغير ضرورة»[٢٧].

وها هو العلم الحديث في ميدان الطب يركع لما جاء به الوحي الأمين، فيقول بكل انكسار وتواضع إن «الدودة الشريطية بالكلاب سبب الأدواء (الأمراض) المزمنة المستعصية، بل كثيراً ما أودت بحياة المصابين بأمراضها»[٢٨]. ولا شك أن هذا الاكتشاف لا يمثل الحكمة كلها ولكنه يعبر عن وجهٍ من أوجه الحكمة لذلك النهي النبوي والمسلم سواء عرف أو جهل الحكمة عليه أن يمتثل لأوامر الشرع دون نقاش عقيم أو جدال سقيم، فالعقل يعجز عن إدراك الحكم كلها والله وحده هو الحكيم العليم.

التنبيه الثاني:

جاء في القصة ـ وفي أحاديث أخرىٰ ـ قوله ﷺ: «**فشكر الله له، فغفر له**» وشكر الله عز وجل لعبده هو القبول للعمل، «فالله جلّ وعلا أجلّ من أن يشكرَ عبيده إذ هو البادىء بالإحسان إليهم، والمتفضل بإتمامها عليهم، ولكن رضىٰ الله جل وعلا ـ بعمل العبد ـ عنه يكون شكراً من الله، جل وعلا علىٰ ذلك الفعل»[٢٩].

---

(٢٧)(٢٨) د. يوسف القرضاوي ـ الحلال والحرام في الإسلام ـ ص١٢١، ١١٨.

(٢٩) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ـ ج ٢ ص٢٩٥، ٢٩٦.

لطيفة:

«إن دعوة الرسول ﷺ إلىٰ الحب والخير ليست محدودة بحدود، وهي ليست موجهة إلىٰ حب الناس فقط، بل إنها دعوة شاملة لكل الكون وما فيه من مخلوقات الله تعالىٰ.

والرسول ﷺ حينما يدعو المسلمين إلىٰ حب الإنسان وجميع مخلوقات الله الأخرىٰ، إنما يدعوهم بذلك إلىٰ أن يكونوا أناساً كاملين مثاليين يملؤهم الحب والخير، ويفيض حبّهم فيغمر ما في الكون كله من مخلوقات.

إن الإنسان الذي يمتثل لدعوة الرسول ﷺ، ويستطيع أن يحقق ذلك في ذاته يصبح في ذروة الصحة النفسية، وفي قمة السعادة الإنسانية»[٣٠].

«أتـاك حديث لا يُمـل سماعـه شهـي إلـينـا نثـره ونـظامـه
إذا سمعتـه للنفس زال عنـاؤها وزال عن القلب المعني ظلامـه»

تعليق:

إذا كان جزاء من يسقي كلباً عطشاناً مغفرة ورحمة، فما الأجر العظيم الذي ينتظر من يحفر بئراً لقريةٍ مسلمةٍ تزاحم النمل في مأكلها ومشربها!!

يموت يومياً حوالي ٢٣٠٠ إنسان ٨٥٪ منهم مسلمين أي أن ٨١ مسلماً يموت كل ساعة. وبعد دقيقة واحدة يكون شخص مسلم علىٰ الأقل قد توفي بسبب المجاعة في أفريقيا وذلك حسب تقديرات لجنة مسلمي أفريقيا في الكويت.

---

(٣٠) د. محمد عثمان نجاتي ـ الحديث النبوي وعلم النفس ـ ص٩٢ ـ ٩٣.

القصة التاسعة:

ما عجوز بني إسرائيل ؟

نزل رسول الله ﷺ عند أعرابي شهم كريم، فأكرمه وأحسن ضيافته، وحينما همّ الرسول ﷺ بالرجوع إلىٰ المدينة المنورة، انعطف علىٰ ذلك الرجل المضياف لتوديعه وقال له: إذا عرجت علىٰ المدينة دعنا نراك.

وبعد فترة ليست بالطويلة حضر الأعرابي إلىٰ المدينة لبعض شأنه ولم ينس أن يذهب إلىٰ الرسول ﷺ..

قال له الرسول ﷺ - وهو في مجمع من أصحابه الكرام -: «**سل حاجتك أيها الأعرابي فلك ما تريد**».

فأجاب الأعرابي علىٰ الفور: يا رسول الله أريد ناقة برحلها، وأعنزاً يحلبها أهلي وإني لك شاكر، ولصنيعك ذاكر.

فسكت النبي ﷺ، ثم أعاد عليه العرض مرة أخرىٰ وقال له: «**سل حاجتك**»!!

ولم يزد الأعرابي علىٰ طلبه شيئاً.

فأعطاه الرسول ﷺ ما أراد.

هذا الأعرابي المسكين لم يدرك أنه أمام نبي الله وطلبه هذا يجعلنا نعتقد أنه كان يتصور نفسه واقفاً أمام ملك سخي أو أمير أغدق الناس بالهدايا

والأعطيات . . إن موقفه ذاك لا غبار عليه إذا كان في حضرة ملك يملك من كنوز الدنيا ويهبها لمن يشاء، ولكن الواقع أن هذا الرجل كان أمام رسول مستجاب الدعوة وكان الأجدر به أن يغتنم الفرصة ويطلب منه ما هو أغلىٰ من متاع الحياة الدنيا، كان عليه أن يطلب ما هو باق خالد، كأن يسأله الرفقة في الجنة والصحبة في الآخرة، لهذا أراد النبي ﷺ أن يعلم أصحابه هذه المنقبة في حب الآخرة، والتطلع إلىٰ الغايات الكبرىٰ فقال لأصحابه وليتعلم الأعرابي وأمثاله، «**أعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل التي اشترطت علىٰ موسىٰ عليه السلام الصحبة في الجنة؟**» وهنا قال الصحابة باستغراب شديد: من هي عجوز بني إسرائيل؟ وجديرٌ بنا أيضاً أن نضم أصواتنا إلىٰ أصوات الصحابة الكرام ونردد معهم: من هي عجوز بني إسرائيل؟ وما حكايتها؟

«لما طال مقام موسىٰ عليه السلام ببلاد مصر، وأقام بها حجج الله وبراهينه علىٰ فرعون وملئه، وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون، لم يبق لهم إلا العذاب والنكال، ، فأمر الله تعالىٰ موسىٰ عليه السلام أن يخرج ببني إسرائيل ليلاً من مصر، وأن يمضي بهم حيث يؤمر ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾[1] ففعل موسىٰ عليه السلام ما أمره به ربه عز وجل»[2]، ولكن القمر احتجب تلك الليلة فضلوا الطريق إلىٰ البحر، ومن خلفهم فرعون يُعد الجيوش للخروج إليهم واستئصال شأفتهم!!

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٥٢.

(٢) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم ـ ص٥٥٥ بتصرف.

الظلام الحالك حيّر موسىٰ عليه السلام الذي أخذ يسأل بني إسرائيل ما سبب هذا الظلام الدامس الذي لم يُعهد من قبل؟!

فقال علماؤهم: لأننا خرجنا من مصر ولم نحمل معنا تابوت يوسف عليه السلام، فإنه قد أوصانا أن لا نخرج من مصر حتىٰ ننقل تابوته معنا!!

ولكن أين التابوت؟

وهل يصلون إليه وتنقشع الظلمة ويهتدون إلىٰ طريق النجاة قبل أن يلحق بهم فرعون وجنوده؟

كيف؟ هذا ما سنعرفه في هذه القصة الشيقة!!

* * *

عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه* قال:

نزل رسول الله ﷺ بأعرابي فأكرمه،
فقال له رسول الله ﷺ: تعهدنا.. ائتنا،
فأتاه الأعرابي،
فقال له رسول الله ﷺ: سل حاجتك؟
فقال: ناقة برحلها [نركبها]، وأعنزاً يحلبها أهلي.
فقال رسول الله ﷺ:
أعجزتم[٣] أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل؟
[فقال أصحابه: يا رسول الله وما عجوز بني إسرائيل؟].
قال: إن موسىٰ لما سار ببني إسرائيل من مصر، ضلوا الطريق[٤]،
فقال [لبني إسرائيل]: ما هذا؟
فقال [له] علماؤهم: [نحن نحدثك].

---

* ترجمة راوي القصة (أبي موسىٰ الأشعري ٢١ ق هـ - ٤٤هـ) هو عبدالله بن قيس بن سليم، من الأشعريين، ومن أهل زبيد باليمن. صحابي من الشجعان الفاتحين الولاة. قدم مكة عند ظهور الإسلام فأسلم، وهاجر إلىٰ الحبشة. واستعمله النبي ﷺ علىٰ زبيد وعدن وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧هـ، فافتتح أصبهان والأهواز، ولما ولي عثمان أقره عليها ثم ولاه الكوفة شارك في التحكيم بين معاوية وعلي رضي الله عنهم أجمعين.
[انظر الموسوعة الفقهية جـ ١ ص٣٣٨].

(٣) أعجزتم= هل قصرت هممكم علىٰ أن تصبحوا مثل تلك العجوز.

(٤) خيمت الظلمة والعتمة علىٰ طريقهم فتوقفوا، ولم يعرفوا طريقهم إلىٰ البحر من أين يكون..

إن يوسف لما حضره الموتُ أخذ علينا موثقاً[٥] من الله أن لا نخرج من مِصْرَ حتىٰ ننقل عظامه معنا[٦]،
قال: فمن يعلم موضع[٧] قبره؟
قالـ[ـوا ما ندري أين قبر يوسف إلا] عجوز من بني إسرائيل،
فبعث إليها [موسىٰ][٨]،
فأتته،
فقال: دُلِّيني[٩] علىٰ قبر يوسف،

قالت: [لا والله لا أفعل!!] حتىٰ تعطيني حكمي[١٠]،
قال [لها]: وما حكمك؟
قالت: [أن] أكون معك في الجنة،
فكرِه أن يعطيها ذلك [فكأنه ثقل ذلك عليه][١١][١٢].
فأوحىٰ الله إليه أن أعطها حكمها،
[فأعطاها حكمها]

---

(٥) الموثق= العهد.
(٦) قال علماؤهم نحن نخبرك يا موسىٰ عن سبب هذا الضياع.
(٧) موضع= مكان.
(٨) فبعث إليها= أرسل من يطلبها للحضور.
(٩) الأصل دلوني والذي أثبتناه هو ما أثبته محقق مسند أبي يعلىٰ الأستاذ حسن سليم أسد.
(١٠) حكمي= طلبي، فلا أدلك علىٰ موضع القبر حتىٰ تعطيني شرطي وحكمي.
(١١) امتنع في البداية أن يعطيها ما أرادت لأن موسىٰ عليه السلام لم يكن يعرفها ويعرف أهليتها لذلك المقام الرفيع فتردد حتىٰ أسعفه الوحي.
(١٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ج ٥ ص١٧٠.

فانطلقت بهم إلىٰ بحيرة[١٣]،
موضع مستنقع ماء،
فقالت: انضبوا[١٤] [عنها] هذا الماء،
فأنضبوا[١٥]،
[ثم] قالت: احفروا واستخرجوا عظام يوسف [فحفروا فاستخرجوا عظام يوسف عليه السلام].
فلما [أن] أقلوها[١٦] إلىٰ الأرض، إذا الطريق مثل ضوء النهار[١٧].

رواه الحاكم وأبو يعلىٰ واللفظ له[١٨].

---

(١٣) البحيرة= «مجتمع الماء تحيط به الأرض». المعجم الوسيط.

(١٤) انضبوا هذا الماء= أزيلوا ماء البحيرة وجففوا المكان من الماء.

(١٥) فعل بنو إسرائيل ما أمرت به العجوز.

(١٦) أقلوها= رفعوا العظام إلىٰ الأرض بعد أن كانت في القبر.

(١٧) إذا الطريق مثل ضوء النهار= أسفر الطريق واستنار الدرب واتضحت الرؤية وكان ما قصه علينا رب العزة في محكم التنزيل ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ سورة الشعراء.

(١٨) سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ١ رقم الحديث ص٥٥٩، الحاكم ـ المستدرك

ويستفاد من القصة:

١) بيان عِظم كرم النبي ﷺ وجميل وفائه.
٢) إيثار طلب الآخرة على الدنيا ومتعها الزائلة.

٣) استخدام السؤال الإستهلالي في بداية القصة بهدف التشويق وجذب انتباه السامع، ولقد كان الرسول ﷺ كثيراً ما يلجأ إلى إثارة المخاطب بتوجيه سؤال يولد الشوق أو ما نسميه بالدافع.. كقوله عليه الصلاة والسلام: «**أتحب أن يلين قلبك، وتدرك حاجتك؟**»[١٩] وقوله: «**أتحبون أيها الناس أن تجتهدوا في الدّعاءُ؟ قولوا: اللهم أعنا على شكرك، وذكرك، وحسن عبادتك**»[٢٠]. وقوله: «**أتدرون ما الغيبة؟ ذِكرك أخاك بما يكره، إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه**»[٢١] «**أتدرون ما المفلس؟**».

قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع.

فقال: «**المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا،**

على الصحيحين في الحديث - ج ٢ ص٤٠٥ ص٥٧١ - ٥٧٢. مسند أبي يعلى الموصلي - ج ١٣ ص٢٣٦ ص٢٣٧ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر ج ٣ ص٢٧٥، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ج ٥ ص١٧٠، ص١٧١ - موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي رقم الحديث ٢٤٣٥ ص٦٠٣ ص٦٠٤، الإحسان في تقريب صحيح بن حبان ج ٢ ص٥٠٠.

(١٩)(٢٠)(٢١) صحيح الجامع الصغير وزيادته - ج ١ رقم الحديث ٨٠ - ٨١ - ٨٦.

وضرب هذا، فيُعطىٰ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضىٰ ما عليه أُخِذَ من خطاياهم، فطرِحَت عليه، ثم طرح في النار»[٢٢].

٤) استغلال الأحداث الجارية في التربية والتعليم.

٥) قد يستعين الرسول بعلم الآخرين في الأمور التي لا تتصل بالتشريع والتبليغ وهذا لا يقدح في فضله ولكنه يؤكد علىٰ بشريته في سائر الأمور.

٦) تسليم الوصية للثقات ممن يحفظونها ويقومون بحقها كالعلماء وخاصة الأصحاب والأمناء من الأقرباء.

٧) فضل بلاد الشام حيث دفن فيها بعض الأنبياء الكرام.

٨) تهفو النفوس بفطرتها إلىٰ حب الموطن الأول ومسقط الرأس، فرغم طول المدة التي قضاها يوسف عليه السلام في مصر إلا أنه طلب من أخيه بنيامين[٢٣] وأوصىٰ علماء بني إسرائيل أن ينقلوا جثمانه معهم إلىٰ الأرض المقدسة المباركة، وصدق الشاعر إذ يقول:

كم منـــزل في الأرض يألفـــه الفتىٰ
وحـــنـــيـنـــه أبـــداً لأول منـــزل[٢٤].

٩) الروية والتأني في اتخاذ القرارات الهامة.

---

(٢٢) مختصر صحيح مسلم رقم الحديث ١٨٣٦ ص٤٨٤، ص٤٨٥.

(٢٣) انظر رواية ابن حبان ـ موارد الظمآن إلىٰ زوائد ابن حبان ـ للهيثمي رقم الحديث ٢٤٣٥.

(٢٤) ابن عبدربه الأندلسي ـ العقد الفريد ـ ج ١ ص١٠٢.

١٠) أهمية الرجوع إلىٰ العلماء وكبار السن في حل المعضلات وكشف المشكلات.

١١) قصص الأنبياء ثروة عظيمة علىٰ المسلم أن يستغلها في ترسيخ المفاهيم الصحيحة والأخلاق الحميدة.

١٢) المؤمن لا يخالف ما يعتقد، فرغم شدَّة الأزمة وحاجة موسىٰ عليه السلام لإرشاد المرأة العجوز، إلا أنه امتنع من أن يعطيها شرطها حتىٰ أذن له الوحي.

١٣) في القصص النبوي مادة ثرية لتتبع الحقائق التاريخية، فمن الصعب مثلاً أن نعثر في المصادر التاريخية مثل ما دونه «الطبري، وابن خلدون، وابن الأثير. .» علىٰ تفصيل خروج موسىٰ عليه السلام من مصر وقصة نقل قبر سيدنا يوسف عليه السلام بالشكل الذي عرفناه ودرسناه آنفاً وعلىٰ ذلك فإن العناية بالقصص النبوي ضرورة تمليها الحاجة إلىٰ الوثائق الصادقة في تدوين أنصع صفحات التاريخ البشري، تاريخ الرسل عليهم السلام.

١٤) مصاحبة الأنبياء في الجنة من أرفع الدرجات التي يرنو إليها المسلم.

١٥) الهمة العالية توصل صاحبها المنازل الرفيعة.

١٦) خيانة عهود ومواثيق الأنبياء ضلال وخسران.

١٧) الذنوب تورّث المصائب، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[٢٥].

---

(٢٥) سورة الشورىٰ: الآية ٣٠.

تنبيه:

يقول الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: «كنت استشكلت قديماً قوله في هذا الحديث «عظام يوسف» لأنه يتعارض مع الحديث الصحيح: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**» حتى وقفت على حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «**أن النبي ﷺ لما بدّن**[٢٦]، **قال له تميم الداري: ألا أتخذ لك منبراً يا رسول الله، يجمع أو يحمل عظامك؟ قال: «بلى فاتخذ له منبراً مرقاتين**».

فعلمت منه أنهم كانوا يطلقون «العظام» ويريدون البدن كله، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، كقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ أي: صلاة الفجر.

فزال الإشكال والحمدلله، فكتبت هذا لبيانه»[٢٧].

---

(٢٦) بدّن= كبر وأسن. «روي في الحديث بَدُنت بالتخفيف، وإنما هي بَدَّنت بالتشديد: أي كبرت وأسْنَنْتْ، والتخفيض من البدانة وهي كثرة اللحم ولم يكن النبي ﷺ سميناً، ولكنه كان معتدل الخَلْق» النهاية في غريب الحديث ج ١ ص١٠٦ بتصرف.

(٢٧) سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ١ ص٥٦٠ بتصرف يسير.

القصة العاشرة:

رحلة الروح إلى السماء

من أوضار[1] المدنية وأضرارها علىٰ القلب أنها تصرفه عن التفكر في أحوال الموتىٰ وأمور الآخرة، فتشغله بمتعها ومتطلباتها، حتىٰ أصبحنا ـ وللأسف الشديد ـ نسرح في محطات الأمل ومنعطفات الأماني، حتىٰ كان منا اللاعب في أوحال المعاصي بكرة وأصيلاً. . ومنا اللاهث خلف حطام الدنيا يحرص عليها حرص الجموع المنوع.

ما أحوجنا إلىٰ صيحة الموت وعالمنا المادي يجذبنا إليه ويجرفنا معه، حري بنا أن نطرق أبواب الزهد في كل حين، وندلف[2] إلىٰ أرجاء إيوانه فسيح، وننساب[3] من مملكة المادة وبهرجها الزائف الخادع، لنهاجر إلىٰ ا فيه حياة القلوب وطب النفوس بعدما اتسع الرقع علىٰ الراقع.

إن العاقل هو الذي يتفكر في نهاية رحلته الدنيوية، وخاتمته الحتمية، وما سوف يُقدم عليه في الغد القريب «وكل ما هو آت في الزمان قريب».

أما الغافل الذي أغراه طول الأمل فهو يخاف من هذا الذكر ويهاب التواصي به، فالموت هادم وهازم للشهوات والجماعات، حقاً إن من الناس من لا يدرك الأخطار ولا يقدرها إلا بعد أن تحل بساحته وحينها لا ينفعه

---

(١) أوضار= أوساخ وأقذار.

(٢) ندلف= ندخل.

(٣) ننساب= نخرج بهدوء كما دخلنا بهدوء.

ندمه علىٰ تفريطه وغفلته. الموت واعظ أبكم وفارس ملثم، كلّنا شارب من كأسه ووارد علىٰ حوضه.

«الموت في كل حين ينشر الكفنا ... ونحن في غفلة عما يداوينا
لا تطمئن إلىٰ الدنيا وبهجتها ... وإن توشحت من أثوابها الحسنا
أين الأحبة والجيران ما فعلوا ... أين الذين همو كانوا لنا سكنا
سقاهم الموت كأساً غير صافية ... فصيرهم لأطباق الثرىٰ رهنا[٤]

في هدوء وصمت، يستل ملك الموت روح الإنسان، والذين من حوله جلوس ولكن لا يبصرون!!

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠﴾[٥] فإن كان من المحسنين فروح وريحان ورب راض غير غضبان، ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣﴾[٦] وبعد أن يموت الواحد منا يُغسل ثم يكفن بالثياب البيضاء، ويُحمل الجثمان علىٰ العيدان، ويُصلىٰ عليه، ثم يُدفن تحت أطباق الثرىٰ، ويُغيّب الرّمُس[٧] جسداً كان في الأمس مترفاً ضاحكاً. طالما تمهد بالفرش المنعّمة، وها هو اليوم يُنزّل إلىٰ حجرته الضيقة المظلمة، وحيداً، فريداً، فيواريه تراب اللحد ويفارقه أحب الولد. وهنا تنتهي قصة الجسد مع الدنيا وتبدأ رحلة الروح مع البرزخ في دار الغربة ومنزل الوحدة.

«وليس غريباً من تناءت دياره ... ولكن من وارىٰ التّرابُ غريبُ»[٨]

---

(٤) انظر القرطبي ـ التذكرة ـ ص٤٨، ٤٩.

(٥) سورة القيامة.

(٦) سورة الواقعة.

(٧) الرمس= التراب.

(٨) ديوان امرىء القيس ـ ص٧٩.

عن البراء بن عازب* رضي الله عنه قال:

خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار،
فانتهينا إلىٰ القبر ولما يلحَد[٩].
فجلس رسول الله ﷺ [مستقبل القبلة][١٠]، وجلسنا حوله وكأن علىٰ رؤوسنا الطير[١١].
وفي يده عود ينكت في الأرض[١٢]، [فجعل ينظر إلىٰ السماء، وينظر إلىٰ الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه، ثلاثاً].
فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر، مرتين، أو ثلاثاً،
[ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر] [ثلاثاً]، ثم قال:
إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة[١٣]،

---

* ترجمة راوي القصة: «البراء بن عازب؟ ـ ٧١هـ» هو البراء بن عازب بن عدي. أبو عمار الخزرجي الأنصاري. قائد صحابي من أصحاب الفتوح أسلم صغيراً، وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة، روىٰ عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر وبلال وغيرهم رضي الله عنهم. ولما ولي عثمان الخلافة جعله أميراً علىٰ الري (بفارس) سنة ٢٤هـ. [انظر الموسوعة الفقهية جـ ٦ ص٣٤٥].

(٩) لما يلحد= لم يوضع في قبره بعد. اللحد= شق يكون في جانب القبر للميت.

(١٠) جميع الزيادات الواردة في الحديث والتي لم أشر إلىٰ مصادرها هي من إضافات المحدث الشيخ الألباني في كتابه أحكام الجنائز ص١٥٦ فليراجع.

(١١) لا نتحرك من شدة الانتباه وعظمة الاحترام لمقام النبي ﷺ.

(١٢) ينكت في الأرض= «يفكر ويحدث نفسه. وأصله من النكت بالحَصىٰ، ونَكْتِ الأرض بالعود، وهو أن يؤثر فيها بطرفه، وهو فعل وحال المفكر المهموم». النهاية بتصرف.

(١٣) أي في ساعة الاحتضار يكون المؤمن في حال إدبار من الدنيا وإقبال علىٰ الآخرة.

نزل إليه ملائكة من السماء،
بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس،
معهم كفن من أكفان[١٤] الجنة، وحنوط[١٥] من حنوط الجنة.
حتىٰ يجلسوا منه مدّ البصر[١٦].
ثم يجيء ملك الموت عليه السلام، حتىٰ يجلس عند رأسه[١٧]،
فيقول: أيتها النفس الطيبة [وفي رواية: المطمئنة]، اخرجي إلىٰ مغفرة من الله ورضوان.
قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء[١٨]،
فيأخذها[١٩]،
[وفي رواية حتىٰ إذا خرجت روحه صلىٰ[٢٠] عليه كل ملك بين السماء

---

(١٤) أكفان= أقمشة وثياب يلف بها الميت.

(١٥) حنوط= صنوف الطيب التي توضع لجسد الميت أثناء الغسل وتخلط مع الماء.

(١٦) مدّ البصر= مدىٰ البصر. كل ما يراه البصر من بعيد..

(١٧) رأس الميت.

(١٨) تخرج روح المؤمن وهي تسيل= تنسل وتنساب برفق، وتخرج بسلام، كما تنزل القطرة من في= فم، السقاء= وعاء من جلد يكون للماء واللبن. والمؤمنون وعلىٰ رأسهم الأنبياء لا شك أنهم قد عانوا من شدة الموت وسكراته، ولكن ألم المؤمن لا يقارن بآلام الكافر في تلك الساعة كما أن المؤمن يرجو من الله ما لا يرجو الكافر ولقد قيل عن ألم نزع الروح أنه أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض كيف لا يكون ذلك والروح المزروعة في كل عظم وعصب وعرق تُجتث وتنتزع حتىٰ يكاد القلب أن ينخلع!!

(١٩) فيأخذها= ملك الموت.

(٢٠) صلىٰ= يدعو الملائكة له بالرحمة والمغفرة، والمراد أن روح المؤمن تخرج وسط نشيد الملائكة الجميل، وما أروعها من ساعات يزف فيها الملائكة روح المؤمن بدعاء ونشيد ساحر جميل، يحيل الكون طرباً وبهجة وسروراً، ومن خلف هذه =

والأرض، وكل ملك في السماء، [ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قِبل الأرض، صلىٰ الله عليك وعلىٰ جسد كنت تعمرينه][21].

وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج[22] بروحه من قبلهم] فإذا أخذها[23] لم يدعوها[24] في يده طرفة عين[25] حتىٰ يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، [فذلك قوله تعالىٰ: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾»[26].

ويخرج منها كأطيب نفحة[27] مسك وجدت علىٰ وجه الأرض،

قال: فيصعدون بها فلا يمرون - يعني - بها علىٰ ملأ من الملائكة[27] إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟

فيقولون: فلان ابن فلان - بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا،

= الترانيم صوت عذب رخيم ينادي ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ سورة الفجر.

(٢١) الزيادة جزء من حديث أبي هريرة، انظر صحيح مسلم كتاب الجنائز.

(٢٢) يصعد الملائكة بروح الميت المؤمن من ناحيتهم وجهتهم، فكل ملك يتمنىٰ أن تمر الروح عبر بوابته وذلك لكرامة روح المؤمن وطيب رائحته.

(٢٣) فإذا أخذها= فإذا أخذ ملك الموت الروح.

(٢٤) لم يدعوها= لم يتركوها الملائكة الذين نزلوا من السماء ومعهم الكفن والحنوط فسرعان ما يلبسون الروح ثوبه الجديد.

(٢٥) طرفة عين= كلمح البصر في السرعة.

(٢٦) الآية بتمامها ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ سورة الأنعام: الآية ٦١. لا يفرطون= يؤدون عملهم بدقة وكمال دون تقصير أو تأخير.

(٢٧) نفحة= رائحة. ولا شك أن كلمة نفحة أليق هنا إذ تشير إلىٰ كثرة انتشار رائحة المسلك وقوته النفاذة ملأ من الملائكة= جماعة من الملائكة.

حتىٰ ينتهوا بها إلىٰ السماء الدنيا[٢٨]،
فيستفتحون له[٢٩]،
فيفتح لهم[٣٠]،
فيشيعه من كل سماء مقربوها[٣١]،
إلىٰ السماء التي تليها،
حتىٰ يُنتهىٰ به إلىٰ السماء السابعة،
فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين[٣٢]،
[﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[٣٣]،
فيكتب كتابه في عليين، ثم يقال]: أعيدوه إلىٰ الأرض، فإني [وعدتهم أني] منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرىٰ[٣٤]،
قال: فـ[يُرد إلىٰ الأرض، و] تعاد روحه في جسده.

---

(٢٨) حتىٰ ينتهوا = حتىٰ إذا وصلوا السماء الدنيا= أول سماء وأقربها إلىٰ الأرض.

(٢٩) فيستفتحون له= يستأذنون له. فالذين يحملون الروح يطلبون من الملائكة الموكلين بالدخول من السماء الأولىٰ ومعهم روح المؤمن، ولكل سماء حفظة يفتحون الأبواب لمن يحق له المرور.

(٣٠) فيفتح لهم: يسمح لهم (ويؤذن لهم).

(٣١) موكب الروح يشهده المقربون من الملائكة ويسيرون معه ويودعونه إلىٰ أن يصل للسماء التي فوقها.

(٣٢) عليون= كتاب خاص بالأبرار، سُطّرت فيه أسماؤهم. فالأبرار رفعتهم أعمالهم إلىٰ أعالي الجنة.

(٣٣) إن شأنهم عظيم. كتاب مرقوم= واضح بيِّن الكتابة.

(٣٤) قال تعالىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ سورة طه الآية ٥٥.

قال: [إنَّ العبد[٣٥] إذا وضع في قبره وتولىٰ عنه أصحابه][٣٦] فإنه يسمع خفق نعال[٣٧] أصحابه إذا ولوا عنه] [مدبرين]،
فيأتيه ملكان[٣٨]، [أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير][٣٩]
[شديدا الانتهار][٤٠] ف[ينتهرانه، و] يجلسانه،
فيقولان له: من ربك؟
فيقول[٤١]: ربي الله.
فيقولان له: ما دينك؟
فيقول: ديني الإسلام.
فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟
فيقول: هو رسول الله ﷺ.
فيقولان له: وما عملك؟
فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به، وصدقت.
[فينتهره فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟

---

(٣٥) العبد المؤمن.
(٣٦) الزيادة عند النسائي ج ٤ ص٩٧ كتاب الجنائز باب المسألة في القبر.
(٣٧) خفق نعال أصحابه= إن الميت يسمع صوت وقع أقدام المشيعين وهم في طريق العودة إلىٰ دنياهم وقد تركوا الميت وحيداً.
(٣٨) قيل إن اسمي منكر ونكير يدلان علىٰ مخلوقين غير مؤلوفين ومخيفين إلىٰ حد كبير. راجع التذكرة للقرطبي ص١٤٨، ١٥٠. والصحيح أن الملكين يأتيان المؤمن والمنافق بشكل مخيف. انظر فيض القدير للمناوي ج ٢ ص٣٧٤.
(٣٩) الزيادة من صحيح الترمذي في الجنائز ج ٤ ص٢٩١، ٢٩٢ وقال حديث حسن غريب.
(٤٠) شديدا الانتهار= إن الملكين (منكر ونكير) سريعا الغضب والزجر فينتهرانه ويجلسانه= يزجران الميت ويوقظانه من رقدته.
(٤١) يجيب العبد المؤمن الملكين بثبات ويقين وهداية من الله عز وجل.

وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[٤٢]،

فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد ﷺ].

فينادي منادٍ في السماء: أن صدق عبدي،

فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة[٤٣]،

قال: فيأتيه من روحها[٤٤] وطيبها،

ويُفسح له في قبره مَدَّ بصره[٤٥]، [وفي رواية: ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم يُنور له فيه[٤٦]، ثم يقال له: نَمْ،

فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم.

فيقولان له: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك][٤٧].

---

(٤٢) سورة إبراهيم: الآية ٢٧. والمعنى أن هذا الموقف هو المراد به في قول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

(٤٣) فيصير القبر كروضة من الجنة فيه من فرشها ولباسها، وروح وريحان من جنة نعيم.

(٤٤) روحها= راحتها ورحمتها أي فيأتيه من نعيم الجنة الشيء الكثير.

(٤٥) وفي رواية الترمذي التاج ج ٥ ص٢٠٩. ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين: «وليس المراد تحديد المسافة والمساحة ولكن المراد إطلاق عظم التوسعة».

(٤٦) وفي الصحيحين: «إن هذه القبور مليئة ظلمة على أهلها، وإن الله عز وجل منورها لهم بصلاتي عليهم». وأخرج الترمذي عنه ﷺ: «ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه». في الزهد ج ٩ ص١٨٨.

(٤٧) هذه الزيادة من صحيح الترمذي في الجنائز ج ٤ ص٢٩٢، وروى أن الرسول ﷺ قال: «إذا وضع المؤمن في لحده تقول له الأرض: إن كنت لحبيباً إليّ وأنت على ظهري فكيف إذا صرت اليوم في بطني؟! سأريك ما أصنع بك، =

قال: ويأتيه [وفي رواية: يمثل له] رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، [أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم][٤٨]،
هذا يومك الذي كنت تُوعد،
فيقول له: [وأنت فبشرك الله بخير] من أنت؟
فوجهك الوجه يجيء بالخير.
فيقول: أنا عملك الصالح [فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً في إطاعة الله[٤٩]، بطيئاً في معصية الله، فجزاك الله خيراً].
ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار،
فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله، أبدلك الله به هذا،
فإذا رأىٰ ما في الجنة قال: ربّ عجل قيام الساعة كيما أرجع[٥٠] إلىٰ أهلي ومالي.
فيقال له: اسكن].
قال: وإن العبد الكافر (وفي رواية الفاجر) إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة [غلاظ شداد]، سود الوجوه، معهم المسوح[٥١] [من النار]،

= فيفسح له في قبره مد بصره!!» ابن القيم - الروح ص٧١.
(٤٨) نعيم مقيم= نعيم دائم خالد.
٤٥) ما عرفتك إلا سابق بالخيرات.
(٥٠) كيما أرجع= حتىٰ أرجع وأعود، فيقال له استرح الآن ولا تستعجل فإنك من أهل الجنة.
(٥١) المسوح= هو ما يلبس من نسيج الشعر علىٰ البدن تقشفاً وقهراً للبدن، والآن لك أن تقارن بين الصورة الأولىٰ وصورة انتزاع روح الكافر حيث المسوح =

فيجلسون منه مدّ البصر،
ثم يجيء ملك الموت حتىٰ يجلس عند رأسه،
فيقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلىٰ سخط من الله وغضب،
قال: فتفرق في جسده[٥٢]،
فينتزعها كما ينتزع السَّفُّود[٥٣] [الكثير الشعب] من الصوف المبلول[٥٤]،
[فتقطع معها العروق والعصب][٥٥]،
[فيلعنه[٥٦] كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج[٥٧] روحه من قبلهم].
فيأخذها[٥٨]،
فإذا أخذها، لم يدعوها[٥٩] في يده طرفة عين حتىٰ يجعلوها في تلك المسوح،

= بدل الأكفان والحنوط.

(٥٢) فتفرق في جسده= تتباعد روحه خوفاً وفزعاً من الملك.

(٥٣) السفود= «عود من حديد ينظم فيه اللحم ليشوىٰ»، المعجم الوسيط.

(٥٤) ينتزع ملك الموت روح الكافر كما يُنتزع الحديد ـ الذي فيه رؤوس كثيرة مدببة ـ من الصوف المبلول الذي لا يستطيع أن يُظهر أي مقاومة اللهم تجرع الألم الشديد.

(٥٥) الألم يتشعب ويتكرر في كل جزء من الجسد في مجرىٰ الدم وخلايا الحس والحركة، وكأن الروح شجرة آلامها تشتد بانتزاع عروقها الآمنة الحساسة في باطن الأرض.

(٥٦) اللعنة= طرد من الرحمة.

(٥٧) تعرج= تصعد.

(٥٨) فيأخذ= هكذا بكل سهولة ويسر ينتزعها.

(٥٩) لم يدعوها= إذا انتزعها ملك الموت أسرع الملائكة الغلاظ الشداد ـ الذين =

ويخرج منها كأنتن[٦٠] ريح جيفة وجدت على وجه الأرض،
فيصعدون بها،
فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث[٦١]؟
فيقولون: فلان ابن فلان - بأقبح أسمائه التي كان يُسمى بها في الدنيا -
حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا،
فيستفتح له،
فلا يفتح له،
ثم قرأ رسول الله ﷺ، ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[٦٢].
فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين[٦٣]، في الأرض السفلى،
[ثم يقال: أعيدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى]،
فتطرح[٦٤] روحه [من السماء] طرحاً.
حتى تقع[٦٥] في جسده،

= نزلوا ساعة الاحتضار ومعهم المسوح - بوضعه ولفه في ذلك الرداء الخشن.

(٦٠) كأنتن ريح جيفة= كأقبح وأخبث رائحة لجثة هالكة.
فيصعدون بها= إلى السماء الدنيا.

(٦١) الخبيث= الكريه.

(٦٢) سورة الأعراف: الآية ٤٠ والمعنى: لن يدخل الكافر الجنة أبداً، ثم يضرب الله عز وجل مثلاً تعجيزياً بالجمل، فمتى اجتاز ثقب الإبرة حينها يدخل الكافر الجنة!!

(٦٣) سجين= كتاب وديوان يُسجّل فيه أسماء الأشرار وأعمالهم.

(٦٤) تطرح= تلقى وتقذف.

(٦٥) تقع= تسقط.

ثم قرأ[٦٦]: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[٦٧].

فتعاد روحه في جسده،

[قال: فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه][٦٨].

ويأتيه ملكان[٦٩] **[شديدا الانتهار**[٧٠]**، فينتهرانه، و] يجلسانه، فيقولان له من ربك؟**

[فيقول: هاه هاه[٧١] **لا أدري.**

فيقولان له: ما دينك؟

فيقول: هاه هاه لا أدري]،

فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟

فلا يهتدي لاسمه[٧٢]**،**

---

(٦٦) ثم قرأ= الرسول ﷺ.

(٦٧) سورة الحج: الآية ٣١ سحيق= بعيد عميق.

(٦٨) ولو عنه= ذهبوا وتركوه في قبره. خفق نعالهم= صوت مشيهم.

(٦٩) وفي رواية: «**فيأتيه منكر ونكير يثيران في الأرض كالبرق الخاطف**» ابن القيم ـ الروح ـ ص٧٠.

(٧٠) الانتهار= الزجر والتأنيب.

(٧١) هاه هاه= كلمة توجع وتأوه وارتباك وخوف. وتدل علىٰ أن هذا الميت «كأنه يتذكر شيئاً يبحث عنه ولكنه يعجز عن استحضاره، وكون الإنسان يتذكر شيئاً ويعجز عن استحضاره أشد ألماً من كونه لا يدري عنه بالكلية، فلو سُئلت عن شيء وأنت لا تعلم عنه فقلت: لا أدري، فهذا نقص بلا شك لكن لا يوجب حسرة لكن لو سئلت عنه وكنت تعلمه ثم عجزت عنه فإن ذلك حسرة ولهذا يقول: هاه هاه كأنه يتذكر شيئاً لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت». ابن عثيمين دروس وفتاوي ص٢٠٤.

(٧٢) لا يهتدي= لا يتذكر، فيضل وينسىٰ بسوء عمله.

فيقال: محمد!
فيقول هاه هاه. لا أدري [سمعت الناس يقولون ذاك!
قال: فيقال: لا دريت]، [ولا تلوت][٧٣]،
فينادي منادٍ من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلىٰ النار،
فيأتيه من حرها وسمومها،
ويضيق عليه قبره حتىٰ تختلف فيه أضلاعه[٧٤]،
ويأتيه (وفي رواية: ويمثل له) رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح،
فيقول: أبشر[٧٥] بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد،
فيقول: [وأنت فبشرك الله بالشر] من أنت؟
فوجهك الوجه يجيء بالشر!
فيقول: أنا عملك الخبيث [فوالله ما علمتُ إلا كنتَ بطيئاً عن طاعة الله، سريعاً إلىٰ معصية الله]، [فجزاك الله شراً،
ثم يُقيض[٧٦] له أعمىٰ أصم أبكم في يده مِرْزَبَة![٧٧]
لو ضرب بها جبل كان تراباً،

---

(٧٣) لا دريت ولا تلوت= لم تعرف ولم تتبع الذي يعرف ذلك النبي حتىٰ تقول مثل ما يقول الناس الذين يعرفونه.

(٧٤) يضمه القبر حتىٰ تتكسر عظامه وتتطابق بعضها فوق بعض.

(٧٥) أبشر= البشارة هنا للسخرية والتهكم.

(٧٦) يقيض= يُسلط عليه وفي رواية أخرىٰ للإمام أحمد: «ويسلط عليه دابة في قبره معها سوط: ثمرته جمرة مثل عرف البعير، تضربه ماشاء الله، صماء لا تسمع صوته فترحمه» ولقد جمع ابن كثير في تفسيره الكثير من الروايات في هذا الباب، انظر تفسير سورة إبراهيم الآية ٢٧.

(٧٧) مرزبة= المطرقة الكبيرة التي تكسر بها الحجارة.

فيضربه ضربة حتىٰ يصير بها تراباً[٧٨]،
ثم يعيده الله كما كان،
فيضربه ضربة أخرىٰ،
فيصيح صيحة، يسمعه كل شيء إلا الثقلين[٧٩]،
ثم يُفتح له باب من النار،
ويمهد[٨٠] من فرش النار]،
فيقول: رب لا تقم الساعة»[٨١].

أخرجه أبو داود والحاكم والطيالسي
وأحمد والسياق له[٨٢].

* * *

---

(٧٨) وفي رواية: «ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعهامن يليه غير الثقلين» فيض القدير جـ ٢ ص٣٧٤. «وقد ورد في صفة هذه المرزبة «المطرقة» أنه لو اجتمع عليها أهل منىً ما أقلوها ـ ما حملوها ـ والعياذ بالله». ابن عثيمين ـ دروس وفتاوىٰ في الحرم المكي ـ ص٢٠٤.

(٧٩) الثقلان= الإنس والجان.

(٨٠) يمهد= يبسط له ويفرش له.

(٨١) يدعو الكافر ربه ربي لا تقم الساعة لأنه يعلم أن ما بعد القبر عذاب واصب أشد من عذاب القبر.
وفي الحديث: «كان عثمان إذا وقف علىٰ قبر بكىٰ حتىٰ يبل لحيته فقيل له تُذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا فقال: إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه» رواه الترمذي جـ ٩ ص١٨٨.

(٨٢) المسند (٤/٢٨٧ و٢٨٨ و٩٥ و٢٩٦) انظر أحكام الجنائز ـ للألباني ـ ص١١٩.

ويستفاد من القصة:

١) توقير العلماء، وحسن الاستماع إليهم، والإحسان في الجلوس معهم.

٢) التعوذ من عذاب القبر، وتذكير الآخرين به، وكان الرسول ﷺ يقول لأصحابه: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**» فيقولون: نعوذ بالله من عذاب القبر»[٨٣]، ويقول: «**اسجيروا بالله من عذاب القبر، فإن عذاب القبر حق**»[٨٤] «**إنهم يعذبون في قبورهم عذاباً تسمعه البهائم**»[٨٥] كما أمرنا ﷺ بأن نتعوذ من عذاب القبر بشكل دائم في الصلوات ـ بعد التشهد ـ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»[٨٦].

٣) للسماء أبواب حقيقية وحفظة موكلون بها، ولا يصعد أحد من جهتهم إلا بعد أن يستأذن فيؤذن له.

٤) الملك المكلف بقبض الأرواح يُسمىٰ ملك الموت عليه السلام، أما تسميته بعزرائيل «فمما لا أصل له، خلافاً لما هو المشهور عند الناس

---

(٨٣) رواه مسلم.

(٨٤) رواه الطبراني.

(٨٥) صحيح الجامع الصغير رقم الحديث ٣١٧.

(٨٦) رواه مسلم.

ولعله من الإسرائيليات»[٨٧] أي من رواسب المرويات التي نُقلت عن بني إسرائيل.

٥) لا بأس في أن يطيل الواعظ[٨٨] أو المتحدث في حديثه ودرسه بعض الشيء، ولقد سئل الإمام الشافعي رحمة الله: أيهما أفضل وأحسن، الإيجاز أم الإسهاب والإطالة؟ فأجاب جواباً محكماً سديداً وقال: «لكل من المعنيين منزلة، الإيجاز عند التفهيم والتعليم، ومنزلة الإسهاب عند الموعظة، ألا ترىٰ أن الله تعالىٰ إذا احتج في كتابه كيف يوجز وإذا وعظ كيف يطنب في مثل قوله محتجاً: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٨٩]

وإذا جاءت الموعظة جاء بأخبار الأولين وضرب الأمثال بالسلف الماضيين»[٩٠].

٦) إثبات عذاب القبر، وسؤال الملكين، واتساع القبر لروح المؤمن والعكس لروح الكافر..

٧) من صفات المؤمنين أنهم يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون قال

---

(٨٧) الألباني ـ أحكام الجنائز ـ ص١٥٦.

(٨٨) «الوعظ عند القبور أمر لا يشرع، ولا ينبغي أن يتخذ هذا سنة دائمة، فإن وجد له سبب فقد يشرع» وما ورد في القصة «فهذا واضح أنه لم يكن ﷺ خطيباً يخطب الناس ويعظهم لكنه جالس وحوله أصحابه ينتظرون متىٰ يلحد هذا القبر فحدثهم، وفرق بين الحديث الخاص الذي يكون بين الجلساء، وبين ما يفعل علىٰ سبيل الخطبة» محمد الصالح بن عثيمين ـ دروس وفتاوىٰ في الحرم المكي ـ ص٣٢٠ باختصار.

(٨٩) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

(٩٠) الخطيب البغدادي ـ الفقيه والمتفقه ـ ج ٢ ص٣٥ بتصرف.

تعالىٰ: ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٩١] وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ﴾[٩٢].

٨) روح المؤمن تخرج بجاذبية الشوق وطواعية النفس بمجرد استدعاء الملك لها وترغيبها بالمغفرة والرضوان، بينما تُنتزع روح الكافر بشدة وقسوة.

٩) تتواجد الملائكة في السموات السبع جماعات جماعات.

١٠) استحباب تسمية المؤمن بأحب الأسماء إليه وأحسنها.

١١) الاستئذان أدب رفيع، وخلق عظيم.

١٢) القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

١٣) كلمة العروس تطلق علىٰ الرجل والمرأة «وفيه أن الروح يذكر كما يؤنث»[٩٣].

١٣) من أهداف التربية الإسلامية تنشئة الفرد المسلم علىٰ الزهد والتقلل من متع الدنيا والتعلق بالقيم والمثل العليا. وهذا باب تربوي عظيم يغفل عنه رجال التربية الحديثة الذين يعيشون في عالم مادي حتىٰ النخاع!! ولا يمكن تربية الإنسان علىٰ معاني الزهد إلا وفق نظرة سليمة للكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وتراثهم المبارك. ومن ثمار التربية الزهدية حمل الإنسان علىٰ التواضع والقناعة والإيثار والتجمل بالرضا والإحسان وسلامة الصدر من الأحقاد ومعالجة

---

(٩١) سورة آل عمران الآية ١١٤.

(٩٢) سورة الأنبياء: الآية ٩٠.

(٩٣) منصور علي ناصف ـ التاج الجامع للأصول ج ١ ص٣٣٩.

النفس من نوازع الجشع والطمع ونقائص الحقد والحسد، إن في الزهد تنمية وتنقية للنفس، ولن تستقيم نفس إن لم تهذب بقرآن وسنة.

١٤) الاستشهاد بالنصوص القرآنية تكسب القصة هيبة وجمالاً، وقوة وأصالة.

١٥) تقريب المعاني البعيدة والغامضة بضرب الأمثلة التوضيحية وكلما كان المثال قريباً من واقع السامع كلما كان المثال أنفع وأوقع، وخاصة إذا كان المثال يشرح الأمور المعنوية بشواهد حسية مستمدة من بيئة المتعلم أو الطبيعية بشكل عام، وانظر إلىٰ قوله ﷺ عن نزع روح المؤمن «فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء» وكقوله في وصف كيفية انتزاع روح الكافر «فينتزعها (ملك الموت) كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول».

١٦) من حق المسلم علىٰ أخيه المسلم اتباع جنازته..

١٧) «الدُّور ثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وقد جعل الله لكل دار أحكاماً تخصها»[٩٤].

١٨) «سؤال القبر يدور علىٰ ثلاثة أمور: السؤال عن الله تعالىٰ، والسؤال عن الدين، والسؤال عن النبي ﷺ، اللهم وفقنا لأحسن جواب يا رحمن يا كريم يا حنان يا منان يا ذا الجلال والإكرام، آمين»[٩٥].

---

(٩٤) شرح العقيدة الطحاوية ـ ص٤٠.

(٩٥) منصور علي ناصف ـ التاج الجامع للأصول ـ ج ٥ ص٢٠٩.

التنبيه الأول:

«أما قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾[٩٦] فسياق الآية يدل علىٰ أن المراد منها أن الكافر الميت القلب لا تقدر علىٰ إسماعه إسماعاً ينتفع به. كما أن من في القبور لا تقدر علىٰ إسماعهم إسماعاً ينتفعون به، ولم يرد سبحانه أن أصحاب القبور لا يسمعون شيئاً البتة، كيف وقد أخبر النبي ﷺ أنهم يسمعون خفق نعال المشيعين - كما مر معنا - وأخبر أن قتلىٰ بدر سمعوا كلامه وخطابه، وشرع السلام عليهم بصيغة الخطاب للحاضر الذي يسمع»[٩٧]. وكان الرسول ﷺ يُعلم أصحابه إذا خرجوا إلىٰ المقابر أن يقولوا: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»[٩٨].

فالميت يسمع ويعي ولكن ليس سماعه سماع استجابة وانتفاع واستفادة.

التنبيه الثاني:

«قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمانُ به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف علىٰ كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الحياة..

فإن عود الروح إلىٰ الجسد ليس علىٰ وجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا»[٩٩].

---

(٩٦) سورة فاطر، الآية ٢٢.

(٩٧) ابن القيم - الروح - ص٦٨.

(٩٨) صحيح الكلم الطيب ص٦٤، شرح مسلم ج ٧ ص٤٥.

فنحن نؤمن بالغيبيات التي جاءت لنا ولا نخوض في كيفياتها ونفوّض علمها إلىٰ الله عز وجل ويكفينا شرفاً أن تظلنا هذه الآية الكريمة ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[100] وهذا من الغيب «وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم»[101].

لطيفة:

عن أثر تذكر الموت في إصلاح القلوب وتهذيب النفوس يقول الشيخ عمر الأشقر ما نصه: «إن لتذكر الموت أثراً كبيراً في إصلاح النفوس وتهذيبها، ذلك أن النفوس تُؤثر الدنيا وملذاتها، وتطمع في البقاء المديد في هذه الحياة، وقد تهفو إلىٰ الذنوب والمعاصي، وقد تقصر في الطاعات، فإذا كان الموت دائماً علىٰ بال العبد، فإنه يصغر الدنيا في عينه، ويجعله يسعىٰ في إصلاح نفسه وتقويم المعوج من أمره»[102].

* * *

(٩٩)(١٠١) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٩، ٤٠٠.

(١٠٠) سورة البقرة: الآيات ١ ـ ٣.

(١٠٢) اليوم الآخر (القيامة الصغرىٰ) ص٨١.

خاتمة:

من الصيدلية النبوية أخذنا عقاقير الذكرىٰ وأدوية اليقظة، وكانت صيحة الموت تهز الأعماق وهي تنادي: أيها الغادي قد دنىٰ الرحيل، أيها الغافل قد أزف التحويل!!

طرقات متتابعة توقظ النفوس الشاردة والقلوب اللاهية اللاغية خلف سراب الدنيا وعفنها.

كان النبأ بحال المؤمن صاحب العمل الصالح حينما انطلقت روحه من الأرض إلىٰ السماء، فنفذت إلىٰ السماء السابعة وعرجت إليه ثم عادت وحشود الملائكة تصحبها بأهزاج الدعاء لتستقر في قبرها وقد تحول إلىٰ روضة من رياض الجنة، أما روح الرجل الفاجر فتحشر في غطاء مخيف وينبعث منها رائحة كريهة وترفع إلىٰ السماء فلا يؤذن لها بالمرور فتطرح من السماء لتقع في حفرة موحشة مظلمة، في هذه القصة العظيمة وقائع مسرحها تحت الأرض وفي السماء وفي أعماق الفضاء، الميت، أعماله، زوّاره من الملائكة، مرتكزات القصة التي كشفت عن غيبيات ما كنا نعلمها لولا أن بعث الله عز وجل فينا نبياً كريماً يبصرنا بها وينذرنا منها، وهذه منّة أنعمها واهب النعم جل وعلا وإلا فمهما تقدمت العلوم فلن تستطيع أن تقدم شيئاً من ذلك، بل إن الموت أكبر شهادة علىٰ ضعف البشرية وعلومها علىٰ مر السنين، وستظل معرفتنا كما وصفها رب العزة ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[103].

---

(١٠٣) سورة الروم: الآية ٧.

إن القصة هي قصتنا قصة أرواحنا، وحكاية أحوالنا، فهل نتعظ ونستعد لذلك اليوم ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[١٠٤].

تعليق:

اصنع ما شئت فإن القبر صندوق العمل.

«لا تغرنك الدنيا وزينتها وانظر إلىٰ فعلها في الأهل والوطن
وانظر إلىٰ من حوىٰ الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير الزاد والكفن»

(١٠٤) سورة ق: الآية ٣٧.

القصة الحادية عشرة:

سارق يقسم بالله !!

عن أبي هريرة رضي الله عنه* عن النبي ﷺ قال:

رأىٰ عيسىٰ بن مريم [عليه السلام][1] رجلاً يسرق، فقال له [عيسىٰ][2] أسرقت؟

قال: كلا[3]، والله الذي لا إله إلا هو.

فقال عيسىٰ: آمنت بالله، وكذَّبتُ عيني[4].

متفق عليه[5].

* * *

---

* ترجمة راوي القصة في القصة الأولىٰ من هذا الكتاب.

(١)(٢) مسند الإمام أحمد جـ ٢ ص٢١٤.

(٣) كلا: «حرف ردع أي ليس الأمر كما قلت ثم أكد ذلك بالحلف». فيض القدير جـ ٤ ص٦.

(٤) وفي صحيح مسلم «آمنت بالله وكذبت نفسي». «أي صدقت من حلف بالله (وهو السارق) وكذبت ما ظهر لي من كون الأخذ المذكور سرقة، فإنه يُحتمل أن يكون الرجل أخذ ما له حق فيه، أو ما أذن له صاحبه في أخذه، أو أخذه ليقلبه وينظر فيه ولم يقصد السرقة» فتح الباري جـ ٦ ص٤٩٠.

(٥) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء انظر فتح الباري جـ ٦ ص٢٤٩، وابن ماجه رقم الحديث ٢١٠٢، وأحمد في مسنده جـ ٢ ص٢١٤.

ويستفاد من القصة:

١) كانت «القصة قصيرة جداً إلىٰ درجة متناهية في القصر. ولكنها مع ذلك كانت محققة للغرض الذي سيقت من أجله»[٦].

٢) المؤمن لا يحلف إلا بالله عز وجل لقوله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[٧] وقوله أيضاً: «**من حلف فليحلف بربِّ الكعبة**»[٨].

٣) يكفي المدّعىٰ عليه ـ وهو المتهم ـ اليمين وهو الحلف بالله العظيم وعلىٰ المدعي ـ الذي رفع القضية علىٰ غيره ـ أن يأتي بالبينة والحجة والإثبات وكما قال الرسول ﷺ: «**البينة علىٰ المدعي، واليمين علىٰ المدعىٰ عليه**»[٩].

٤) صدّق عيسىٰ عليه السلام السارق بعد أن أقسم لأن: «المؤمن الكامل لا يحلف بالله كاذباً»[١٠].

٥) إحسان الظن بالمؤمن، والثقة به.

٦) درء الحدود بالشبهات فالأصل أن المتهم بريء حتىٰ تتضافر الشواهد القاطعة علىٰ خلاف ذلك.

٧) علىٰ الحاكم أن يتسامح مع رعيته ما وجد إلىٰ ذلك سبيلاً.

٨) القصة تدل علىٰ السجية الطاهرة التي كان يتمتع بها سيدنا عيسىٰ

---

(٦) د. محمد بن حسن الزير ـ القصص في الحديث النبوي ـ ص٤٣٣.

(٧)(٨)(٩) صحيح الجامع الصغير رقم الحديث ٦٢٠٤ ـ ٦٢١٤ ـ ٢٨٩٧.

(١٠) المناوي ـ فيض القدير ـ ج ٤ ص٦.

عليه السلام: «حيث قدم حلف ذلك الرجل فظن أن أحداً لا يحلف بعظمة الله كاذباً»[11].

٩) تعظيم التوسل بالله عز وجل..

١٠) يقظة الحاكم المسلم في حراسة أمن البلاد ومال العباد.

لطيفة:

من أكثر ما يمكن ملاحظته عندما يخطىء الطفل في الأمور الحياتية العادية وله في خطئه عذر ومسوغ لا نراه نحن كآباء ومعلمين ما نجده بعد أن نوجه اللوم للطفل من المسارعة في القسم والحلف، ولا يحسن بنا في هذا المقام تقديم العقاب دون الالتفات إلىٰ القسم الذي أقسمه الطفل إذ أنه لجأ إلىٰ الله عز وجل ليشفع له وهذا أمر خيِّر، ولتأصيل قيمة لفظ الجلالة في نفس الناشئة علينا أن نقول لهم: آمنا بالله الذي لا إله إلا هو، وصدقناك، وكذبنا أنفسنا، وقبل ذلك علينا أن نربيهم علىٰ الصدق مع النفس ومع الناس ومع الله تبارك وتعالىٰ.

تنبيه:

جمهور العلماء يرون أن القسم لا يفيد براءة ذمة المدعىٰ عليه وهو المتهم بمعنىٰ أن التهمة لا تسقط بمجرد القسم ولكن القسم قد يفصل في المنازعات والخصومات فيتم إطلاق صراح المتهم إلىٰ حين توافر الأدلة ضده. وإلىٰ هذا المعنىٰ يشير الفقهاء عندما يتحدثون عن أثر اليمين في الدعوىٰ: «وأما أثر اليمين في الدعوىٰ فهو أنه يترتب عليها قطع الخصومة والمنازعة وعدم المطالبة بالحق في الحال لا مطلقاً»[12].

---

(١١) ابن كثير ـ البداية والنهاية جـ ٢ ص٩٧.

(١٢) د. وهبة الزّحيلي ـ الفقه الإسلامي وأدلته ـ جـ ٦ ص٥٢٦.

القصة الثانية عشرة:

كيف سنمر على الجسر ؟

ألذ نعيم يترقبه العاقل هو نعيم النظر إلىٰ وجه رب العالمين، وإن المؤمنين علىٰ ميعاد لرؤية الله عز وجل في دار المقامة إذ يرونه كما يرون الشمس في كبد السماء ليس معها سحاب أو دونها حجاب، يرونه بوضوح تام كما يرون القمر ليلة البدر. ولكن كيف نجتاز قناطر الآخرة وعقباتها الكـأْداء المخيفة؟ يوم تُجمع الخلائق ثم تفرز الأمم ويُصنّف العباد، فمن كان يعبد القمر يتبع القمر ومن كان يعبد عيسىٰ أو عُزيز أو الطواغيت.. يتبع كل منهم ما كان يعبد في الحياة الدنيا ويُبعث عليه.. وعندما يشعرون بالظمأ يقبلون علىٰ السراب فإذا هو يسفر عن نار ولهيب يحطم بعضه بعضاً فيسقطون فيها فوجاً فوجاً.

وهناك اختبار رهيب وعقبة كؤود إذ يمر الناس علىٰ الصراط وهو جسر ممدود علىٰ متن جهنم والسعيد من يثبته الله عز وجل عليه يوم تزل الأقدام وتتطاير قذائف الكلاليب لتصيب العصاة فتهوي بهم إلىٰ قعر جهنم وبئس المصير.

إن الاختبارات الفردية تشد الأعصاب وترهق الأجساد وتؤرق النفوس هذا ما نلمسه في هذه الدار، فنحن نخاف السقوط ونخشىٰ الرسوب، وفي المقابل نحب التوفيق والنجاح ونيل الجوائز المادية والتقديرية.

وفي الآخرة اختبار عظيم يقشعر من هوله البدن وتنفطر من هيبته

الأفئدة، مكان يشتد فيه الصراخ والعويل ويعلو فيه البكاء والصياح، رقابة محكمة صارمة تتابع وتدير كل شيء بحكمة بالغة وقدرة فائقة.

الاختبار هو المرور علىٰ جسر جهنم متنه أحدّ من السيف وأدقّ من الشعرة.. يمر عليه البعض بسرعة خاطفة أو كلمح بالبصر والبعض يتعثر والآخر يحبو والبعض يسقط في هوة سحيقة.. فتتجاذبه ألسنة النار، الأضواء والأنوار تقتبس جذوتها وقوتها من رصيد الأعمال الدنيوية، الكل يسير حسب قوة إيمانه واستقامة عمله.

إن الصراط عقبة وقنطرة لا نقتحمها إلا علىٰ صهوة الاستقامة والهداية، ولا تميد بنا إلا بقواصم معاصينا وظلمة ذنوبنا.. ثم تبدأ رحلة الشفاعة مروراً بالملائكة والنبيين إلىٰ حين شفاعة الصالحين والمؤمنين ثم الخاتمة برحمة أرحم الراحمين وبتمامها يكتمل شمل الموحدين في دار الكرامة.

والآن يقيناً قد اشتقنا إلىٰ حديث صاحب الرسالة الخاتمة والشفاعة الكبرىٰ نبينا محمد ﷺ ليميط اللثام عن غيب محقق الوقوع وليخبرنا عن أمر ينتظرنا علّنا نستعد له بصالح العمل.

* * *

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه* أن ناساً قالوا:

يا رسول الله هل نرىٰ ربّنا يوم القيامة؟

قال رسول الله ﷺ: نعم.

قال: هل تضارّون[1] في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟

وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب؟

قالوا: لا يا رسول الله،

قال: ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالىٰ يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما[2].

إذا كان يوم القيامة أذّن مؤذن[3] ليتبع كل أمة ما كان تعبد[4].

فلا يبقىٰ أحد كان يعبد غير الله سبحانه وتعالىٰ من الأصنام والأنصاب[5] إلا يتساقطون في النار[6].

---

* انظر ترجمة راوي القصة في بداية القصة السابعة.

(١) هل تضارون= لا تضرون أحداً ولا يضركم بمنازعة ولا مجادلة ولا مضايقة، وكما تشاهدون الشمس دون حجاب، كذلك ترون ربكم بوضوح.

(٢) أي سترون ربكم رؤية محققة بغاية السهولة والراحة.

(٣) أذّن مؤذن= نادىٰ منادٍ.

(٤) وفي رواية البخاري «فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت». كتاب التوحيد.

(٥) الأنصاب= الأصنام أو هي ما نصب للعبادة ولم يكن كصورة الآدمي.

(٦) وفي رواية «فيطرح منهم فيها فوج ويقال: هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد».

حتىٰ إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بَرٍّ وفاجر[٧] وغبر أهل الكتاب[٨].
فيُدعىٰ اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟
قالوا: كنا نعبد عُزير ابن الله[٩].
فيُقال: كذبتم!!
ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد،
فماذا تبغون؟
قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا.
فيُشار إليهم[١٠] ألا تردون[١١]!؟
فيحشرون إلىٰ النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً.
فيتساقطون في النار.

---

(٧) بر وفاجر= المطيع والفاسق.

(٨) غـبر أهل الكتاب= بقاياهم.

(٩) وسبب تلك المقالة علىٰ ما قاله ابن عباس أن عزيراً كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم وأنساهم التوراة ومسحها من صدورهم فدعا الله عزيراً وابتهل إليه أن يرد إليه التوراة فبينما هو يصلي مبتهلاً إلىٰ الله نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت إليه فأذن في قومه وقال يا قوم قد آتاني الله التوراة وردها علي فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير علىٰ ما في التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما أوتي عزير هذا إلا لأنه ابن الله. حاشية العلامة الصاوي علىٰ تفسير الجلالين ج ٢ ص١٤٥.

(١٠) فيشار لهم أي إلىٰ النار التي تظهر لهم من بعد كالسراب يتراءىٰ للظمآن كأنه ماء فإذا وصلوا إليها وجدوها ناراً فسقطوا فيها.

(١١) أتردون= استدراج من الملائكة لهم إذ يقول هلاّ حضرتم إلىٰ هذه الجهة لتشربوا..

ثم يدعىٰ النصارىٰ فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟
قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله.
فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد،
فيقال لهم: ماذا تبغون؟
فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا.
قال: فيشار إليهم ألا تردون؟
فيحشرون إلىٰ جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً
فيتساقطون في النار.
حتىٰ إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالىٰ من برّ وفاجر [وتبقىٰ هذه الأمة فيها منافقوها][12] أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالىٰ في أدنىٰ صورة من التي رأوه فيها[13]،
قال: فماذا تنتظرون؟
تتبع كل أمة ما كانت تعبد،
قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم[14]،
فيقول: أنا ربكم[15].

---

(١٢) الزيادة في صحيح البخاري.
(١٣) يأتي الله عز وجل إلىٰ المؤمنين والمنافقين بصورة غير التي يعرفها المؤمنون وهي أنه سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وهذا اختبار ليتميز المؤمن عن المنافق وبعدها يتجلىٰ الحق سبحانه وتعالىٰ لعباده المؤمنين بالصورة التي يعرفونها وهي كما قلنا أنه سبحانه ليس كمثله شيء، ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾.
(١٤) إننا يا رب فارقنا في الدنيا كل الطواغيت ورغم حاجتنا إلىٰ معايشتهم فلقد هجرنا صحبتهم من أجلك يا رب.
(١٥) إلىٰ الآن لم ير المؤمنون ربهم بالصورة التي يعلمونها.

فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً[١٦]. (مرتين أو ثلاثاً).
حتىٰ إن بعضهم ليكاد أن ينقلب[١٧].
فيقول: هل بينكم وبينه آية[١٨] فتعرفونه بها؟
فيقولون: نعم.
فيُكشف عن ساق[١٩]، فلا يبقىٰ من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود،
ولا يبقىٰ من كان يسجد إتقاء ورياء[٢٠] إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خرّ علىٰ قفاه[٢١]،
ثم يرفعون رؤوسهم.

---

(١٦) يرفض المؤمنون متابعة أي أمة أو الإيمان إلا بالله عز وجل بالصورة التي آمنوا بها في الدنيا وهي أنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ولهذا فهم يتعوذون من الشرك.

(١٧) حتىٰ إن بعضهم ليكاد أن ينقلب= يرتد ويرجع عن دينه عندما يرىٰ هذه المحنة المهولة.

(١٨) آية= علامة.

(١٩) يكشف الحق سبحانه وتعالىٰ عن ساقه والمؤمن يدرك أن الله عز وجل لا يشبه المخلوقين ونحن نؤمن بهذه الغيبيات لأن عقولنا قاصرة عن إدراك الذات الإلهية، وقيل أن معنىٰ يوم يكشف عن ساق أي عن أمر عظيم.

(٢٠) إتقاء ورياء= كل من يقوم بعبادة الله من أجل الناس فهو مُراءٍ..

(٢١) المنافق لا يستطيع أن يسجد مع المؤمنين، ويتصلب ظهره فلا يستطيع الإنثناء والسجود قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾. سورة القلم الآية ٤٢، ٤٣ وهو عقاب لهم إذ أنهم لم يسجدوا لله سبحانه في الدنيا فيحرمهم الله من القدرة علىٰ السجود في الآخرة نكاية بهم وكلما أرادوا السجود سقطوا علىٰ ظهورهم.

وقد تحول[٢٢] في صورته التي رأوه فيها أول مرة.
فقال: أنا ربكم.
فيقولون: أنت ربنا.
ثم يُضرب الجسر علىٰ جهنم[٢٣] وتحل الشفاعة[٢٤]،
[فأكون أول من يجيز[٢٥] ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلِّم سلِّم].
ويقولون[٢٦]: اللهم سلِّم سلِّم.
قيل: يا رسول الله وما الجسر؟
قال: دحضٌ مَزَلّةٌ[٢٧]،

---

(٢٢) تحول= هذا الحديث من أحاديث الصفات وكما ذكرنا فإن المؤمن يعتقد بأن الله تعالىٰ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فهو «منزه عن التجسيم والإنتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوقين، فنحن نؤمن بتلك الصفات ونعتقد لها معنىٰ يليق بجلال الله تعالىٰ وعظمته». شرح النووي ج ٣ ص١٩ بتصرف. وإذا كنا لم نر الله عز وجل فمن المستحيل أن نعرف الكيفية والراسخون في العلم ممن يؤمنون بالغيب يقولون آمنا بالله ولا يخوضون في معرفة الكيفية، ومثلهم كما يقول أحد الدعاة كمثل قوم لم يشهدوا النهضة الحديثة ثم جاءهم من يخبرهم أن جهازاً من الحديد أو أي جماد يتحدث وينقل الأخبار أما المؤمنون حقاً في صدق من جاءهم بالخبر فيصدقون دون أن يتحدثوا عن صفات ذلك الجهاز الذي يجهلونه ولم يروه في حين أن البعض الآخر أساء الفهم فظن أن للجهاز آذاناً كآذان الإنسان ولساناً. . وهكذا ولله المثل الأعلىٰ وقعت الكثير من الفرق من هذا الباب حينما تكلموا عن آيات وأحاديث الصفات فوقعوا في هذا المنزلق ولا شك أن مذهب السلف أعلم وأسلم وأحكم وهو الإيمان بتلك الصفات مع الاعتقاد بجلال الله وعظمته دون الخوض فيما لم نحط به خبراً.

(٢٣) يضرب الجسر علىٰ جهنم= يوضع الصراط علىٰ النار.

(٢٤) وتحل الشفاعة= يحين وقتها فيأذن الله بها.

(٢٥)(٢٦) شعار المؤمنين حينئذٍ اللهم سلم سلم.

(٢٧) دحض مزلة= موضع تزل فيه الأقدام ولا تستقر عليه.

فيه خطاطيف وكلاليب[٢٨] وحسك[٢٩]
تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان[٣٠].
[أما رأيتم شوك السَّعدان؟
قالوا: بلىٰ يا رسول الله،
قال: فإنها مثل شوك السّعدان، غير أنها لا يَعلمُ قدرَ عظمِها إلا الله، فتخطف الناسُ بأعمالهم].
فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب*.
فناج مُسَلَّمٌ. ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم[٣١].
حتىٰ إذا خلص المؤمنون من النّار[٣٢] فو الذي نفسي بيده ما منكم من

(٢٨) خطاطيف وكلاليب= حدائد معوجة (معكوفة) الرأس يعلق فيها اللحم وترسل في التنور للشوي.

(٢٩) حسك= شوك صلب من حديد.

(٣٠) شبّه الخطاطيف والكلاليب والحسك بشوك السعدان. والسعدان= نبت ذو شوك وهو من جيد مراعي الإبل تسمن عليه وهذا النبات (يكون بنجد)= يعيش في منطقة الجزيرة العربية بين الحجاز والعراق..

(*) وفي رواية: «ثم يقال لهم انجوا علىٰ قدر نوركم، فمنهم من يمر كطرف العين ثم كالبرق ثم كالسحاب ثم كانقضاض الكوكب ثم كالريح ثم كشد الفرس ثم كشد الرحل حتىٰ يمر الرجل الذي أعطىٰ نوره علىٰ إبهام قدمه يحبو علىٰ وجهه ويديه ورجليه يجر بيد ويعلق بيد ويجر برجل ويعلق برجل وتضرب جوانبه النار حتىٰ يخلص» انظر فتح الباري ج ١١ ص٤٥٣.

(٣١) ناج مسلم= الناس الذين يمرون علىٰ الصراط ثلاثة أقسام: القسم الأول: ينجو سالماً لا يصيبه مكروه. والقسم الثاني: مخدوش مرسل= يصاب ويجرح لكنه ينجح في المرور. والقسم الثالث: مكدوس في النار= يزلق فيسقط في النار وتأخذه الكلاليب والخطاطيف.

(٣٢) بعد مرور الصراط يتذكر المؤمنون إخوتهم الذين في النار فيناشدون ربهم =

أحد بأشدَّ مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار.

يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجّون!!

فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم.

فتحرَّمُ صورهم على النار[٣٣].

فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلىٰ نصف ساقيه وإلىٰ ركبتيه.

ثم يقولون: ربَّنا ما بقِي فيها أحدٌ ممن أمرتنا به.

فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال[٣٤] دينار من خير فأخرجوه.

فيُخرجون خلقاً كثيراً.

ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا.

ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصفِ دينار من خير فأخرجوه.

فيُخْرجون خلقاً كثيراً.

ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً.

ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه.

فيُخرجون خلقاً كثيراً.

ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً[٣٥].

= ويطلبون منه بإلحاح أن يقبل شفاعتهم لإخوانهم.

(٣٣) وعند البخاري «حتىٰ إذا فرغ الله من القضاء بين عباده، وأراد أن يُخرج من النار من أراد أن يُخرج ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله، أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرَّم الله علىٰ النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود»، فتحرم صورهم علىٰ النار= لا تمس النار وجوههم.

(٣٤) مثقال= وزن.

(٣٥) لم نذر فيها خيراً= لم نترك فيها أهل خير.

وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣٦].

فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحمُ الراحمين.

فيقبض قبضة من النار فيُخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط[٣٧]، قد عادوا حُمماً[٣٨].

فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة[٣٩] يقال له نهر الحياة.

فيخرجون كما تخرج الحبّة من حميل السيل[٤٠].

ألا ترونها تكون إلىٰ الحجر أو إلىٰ الشجر ما يكون إلىٰ الشمس أُصيفِرُّ وأخيضر وما يكون منها إلىٰ الظل يكون أبيض[٤١].

فقالوا: يا رسول الله: كأنك كنت ترعىٰ بالبادية![٤٢]

---

(٣٦) سورة النساء: الآية ٤٠.

(٣٧) ليس لهم إلا كلمة التوحيد.

(٣٨) قد عادوا حمماً= صاروا من نار جهنم كالفحم.

(٣٩) أفواه الجنة= في أول طريق الجنة.

(٤٠) فيخرجون كما تخرج الحبة من حميل السيل= عندما يدخل الموحدون الذين كانوا في النار نهر الحياة تنبت أجسامهم - التي تفحمت من النار - كما ينبت العشب في البراري (من حميل السيل)= ما يحمله السيل من طين أو غثاء والمراد تشبيه أجسامهم ونموها بالنبات الذي ينمو من حميل السيل من حيث سرعة النمو وحسن طراوته.

(٤١) والمراد «ألا تنظرون إلىٰ لون النباتة يكون في الظل أبيض وفي الشمس يكون اللون مائلاً إلىٰ الصفرة والخضرة» التاج الجامع للأصول ج ٥ ص٣٩٦.

(٤٢) كأنك كنت ترعىٰ بالبادية= يقول الصحابة للرسول ﷺ إن معرفتك دقيقة بحال النبات ولقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «ما بعث الله نبياً إلا رعىٰ =

قال: فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم[٤٣] يعرفهم أهلُ الجنة، هؤلاء عُتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنَّةَ بغير عمل عملوه، ولا خير قدَّموه[٤٤].

ثم يقول: أدخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم.

فيقولون ربنا: أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين.

فيقول: لكم عندي أفضل من هذا!!

فيقولون: يا ربنا أي شيء أفضل من هذا؟

فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبداً.

رواه مسلم[٤٥].

* * *

= الغنم، وأنا كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط» فكانت معرفته بعالم النبات معرفة تجربة وواقع. والحكمة في رعاية الأنبياء للغنم تربيتهم على الرحمة والصبر والعطاء والتواضع وإعدادهم لقيادة وسياسة الناس من بعد ذلك.

(٤٣) الخواتم= أشياء من ذهب أو غير ذلك تعلق في أعناقهم يعرفون بها.

(٤٤) فلم يكن لهم سوى الإيمان بالله ورسوله ﷺ، وذلك شعارهم عند أهل الجنة التاج الجامع جـ ٥ ص٣٩٦.

(٤٥) كتاب الإيمان. شرح النووي جـ ٣ ص٢٥ والزيادات الواردة بين قوسين من صحيح البخاري، كتاب الرقاق باب الصراط على جسر جهنم.

ويستفاد من القصة:

١) في الآخرة يرىٰ المؤمنون ربهم بكل وضوح.

٢) «جواز مخاطبة الشخص بما لا تدرك حقيقته وجواز التعبير عن ذلك بما يفهمه. وأن الأمور التي في الآخرة لا تشبه بما في الدنيا إلا في الأسماء والأصل مع المبالغة في تفاوت الصفة والاستدلال علىٰ العلم الضروري بالنظري، وأن الكلام إذا كان محتملاً لأمرين يأتي المتكلم بشيء يتخصص به مراده عند السامع.

٣) إن الصراط مع دقته وحدّته يسع جميع المخلوقين منذ آدم إلىٰ قيام الساعة.

٤) إن النار مع عظمها وشدتها لا تتجاوز الحد الذي أمرت بإحراقه، والآدمي مع حقارة جرمه يقدم علىٰ المخالفة ففيه معنىٰ شديد من التوبيخ كقوله تعالىٰ في وصف الملائكة: ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٤٦] وفيه إشارة إلىٰ توبيخ الطغاة والعصاة.

٥) فضل الدعاء وقوة الرجاء في إجابة الدعوة ولو لم يكن الداعي أهلاً لذلك في ظاهر الحكم لكن فضل الكريم واسع.

٦) جماعة من مذنبي هذه الأمة يعذبون بالنار ثم يخرجون بالشفاعة والرحمة.

---

(٤٦) سورة التحريم: الآية ٦.

٧) أن تعذيب الموحدين بخلاف تعذيب الكفار لاختلاف مراتبهم من أخذ النار بعضهم إلىٰ ساقه وأنها لا تأكل أثر السجود. .

٨) إن صفات الآدمي التي شُرِّف بها علىٰ الحيوان تعود له كلها بعد بعثته كالفكر والعقل»[٤٧].

٩) استخدام السؤال للتشويق والتوضيح أثناء سرد القصة وجه جميل من أوجه التعليم.

١٠) فضل السجود حيث حرم الله علىٰ النار أن تأكل آثار السجود وفي الحديث «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**»[٤٨].

١١) سعة اطلاع الرسول ﷺ بشئون الدنيا ومعرفته الدقيقة بالنباتات ونموها ومواطنها.

١٢) الذي اعتاد قلبه وسلوكه علىٰ الطريق المستقيم في الحياة الدنيا يقطع متن جسر جهنم دون خوف أو اضطراب، فقد استبانت الرؤية له، وتروضت النفس عنده.

١٣) إثبات الشفاعة للملائكة والأنبياء والمؤمنين، وفضل التوحيد.

١٤) لا يخلد الموحد العاصي في النار بل يأخذ عقابه أو يخرج برحمة الله عز وجل. .

١٥) نهر الحياة نهر أودع الله عز وجل فيه خواص عظيمة.

---

(٤٧) فتح الباري جـ ١١ ص٤٦٢، ٤٦٣ باختصار.

(٤٨) رواه أحمد ومسلم وأبو داود.

١٦) «لا ينفع من العمل إلا ما حضر له القلب وصحبته نيته وفيه دليل على زيادة الإيمان ونقصانه»[٤٩].

١٧) أن لا تحقر من الأعمال شيئاً، فإن الجزاء والعطاء الإلهي يشمل ويحيط بمثقال ذرة من خير أو شر ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾[٥٠].

١٨) رباط الأخوة في الدين أقوى رباط وعن ذلك اليوم يقول عز وجل: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[٥١].

١٩) كثرة العتقاء من النار وإن الكرم الإلهي أكبر وأعظم مما قد يدركه عقل الإنسان أو أن يتصوره، ورضا الله أفضل عطاء.

٢٠) فضل مفارقة أهل الباطل لقول المؤمنين: «فارقنا الناس في الدنيا..» رغم الحاجة لهم.

تنبيه:

ليس المراد من قوله عز وجل: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[٥٢] دخول جميع الخلائق النار، فإن الآية التي تليها تعارض هذا الفهم إذ يقول تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[٥٣].

والصحيح - كما رأينا في القصة السابقة - وشهدت به الأحاديث أن المراد بالورود هو المرور على جسر جهنم (الصراط).

---

(٤٩) النووي - شرح صحيح مسلم جـ ٣ ص٣٢.

(٥٠) سورة الزلزلة.

(٥١) سورة الزخرف: الآية ٦٧.

(٥٢)(٥٣) سورة مريم الآية ٧١ - ٧٢.

اللطيفة الأولىٰ:

يقول القرطبي في كتابه التذكرة في أحوال الموتىٰ وأمور الآخرة: «فتفكر الآن فيما يحل بك من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك علىٰ سواد جهنم من تحته، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد كُلفت أن تمشي علىٰ الصراط مع ضعف حالك، واضطراب قلبك، وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار.

فكيف بك إذا وضعت عليه إحدىٰ رجليك فأحسست بحدته، واضطررت إلىٰ أن ترفع القدم الثاني، والخلائق بين يديك يزلون ويعثرون، وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون فتسفل إلىٰ جهة النار رؤوسهم، وتعلو أرجلهم فيا له من منظر ما أفظعه، ومرتقىً ما أصعبه، ومجاز ما أضيقه»[٥٤].

«فتوهم ذلك بعقل فارغ وشفقة علىٰ ضعف بدنك فإن أهوال القيامة إنما تخفف علىٰ أولياء الله عز وجل الذين توهموها في الدنيا بعقولهم فعظم خطر النجاة عندهم، فتحملوا من ثقل همومها في الدنيا علىٰ قلوبهم وحرقة خوفها علىٰ ضرورتهم فخففها في القيامة بذلك عليهم مولاهم، فالزم قلبك توهمها والخوف منها والغم بها لأن الله يخففها عليك بذلك ويهونها لأنه آلىٰ علىٰ نفسه ألا يجمع علىٰ أوليائه الخوف في الدنيا والآخرة»[٥٥].

---

(٥٤) ص٣٨٥.

(٥٥) انظر ـ اليوم الآخر في ظلال القرآن ص٢٣٨.

اللطيفة الثانية:

«لو فقه الطغاة من الولاة، والعصاة من الشعوب ما للدعاة المؤمنين من المنزلة العالية يوم القيامة، وما سيقومون به من أمر الشفاعة فيهم، والإلحاح على الرب جل علاه لإنقاذهم من النار، لكان هذا كافياً لردعهم عن مضايقتهم والاستهزاء بهم ومعاندتهم، ورد نصائحهم، ولأجلّوهم ورفعوا من شأنهم، ردًّا للجميل الذي يسدونه لهم في الدنيا، من تعليم العلم والنصيحة، والشفقة عليهم من الوقوع في النار، وردًّا للجميل الذي سوف يسدونه لهم في الآخرة، من الشفاعة فيهم واستخراجهم من النار»[٥٦].

* * *

(٥٦) عبدالحميد جاسم البلالي ـ كلام أهل الجنة وتخاصم أهل النار ـ ص٢٢.

خاتمة:

علىٰ سِيف بحر الآخرة شاهدنا طرفاً من أهوال المرور علىٰ الصراط، كلّ يسير عليه حسب قوة إيمانه واستقامة عمله فمنهم شقي ومنهم سعيد.

تفزع النفوس وتضطرب من مناظر الصراط والخطاطيف حولها تقصف العصاة ودعاء الأنبياء والملائكة و.. اللهم سلم سلم.. الناس في ذهول من فظاعة ذلك اليوم.

في حين أن النفس تستريح وهي ترمق من بعيد أفواج الناجين ممن اجتازوا الصراط وفازوا برضوان الله عز وجل، والشفاعة تملأ النفس والقلب برداً ويقيناً، والطمع بالكرم الإلهي يحدونا إلىٰ التفاؤل والاستبشار.

وهكذا يتقلب المؤمن بين الخوف والرجاء، بين الحذر والأمن، بين الفزع والطمع، إن الخوف والرجاء جناحان نطير بهما نحو جنان الخلد، ورياح الجود والمنة الإلٰهية تدفعنا وتعيننا ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٥٧].

والنفس السوية دائماً تتطلع إلىٰ الثواب والترغيب، وتهاب العقاب والترهيب ولقد جاءت القصة لتحقق التوازن بين الخوف والرجاء في حس المؤمن الذي عليه أن لا يغفل عن ذلك الاختبار المنتظر.

---

(٥٧) سورة الزمر: آية ٩.

القصة الثالثة عشرة:

ما كان هذا رجائي !!

عن أنس بن مالك رضي الله عنه*، قال: قال رسول الله ﷺ:

يخرج رجلان من النار،
فيعرضان على الله [تعالى].
ثم يُؤمر بهما إلى النار،
فيلتفت أحدهما فيقول: يا رب، ما كان هذا رجائي.
قال: وما كان رجاؤك؟
قال: كان رجائي إذ أخرجتني منها أنْ لا تعيدني [فيها فينجيه الله منها].
فيرحمه الله فيدخلُهُ الجنّة[1].

رواه مسلم وابن حبّان واللفظ له.

---

* ترجمة راوي القصة (أنس بن مالك ١٠ق هـ - ٩٣هـ) هو أنس بن مالك بن النضر، النجاري الخزرجي الأنصاري، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، خدمه إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة فمات بها، آخر من مات بها من الصحابة. له في الصحيحين ٢٢٨٦ حديثاً. الموسوعة الفقهية جـ ٢ ص٤٠٦.

(١) مختصر صحيح مسلم ص٣٣ رقم الحديث ٩١ - النووي جـ ٣ ص٥٢ - الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان جـ ٢ ص٤٠٠ - مسند أبي عوانة جـ ١ ص١٨٧.

ويستفاد من القصة:

١) «حسن الظن بالمعبود جلَّ وعلا قد ينفع في الآخرة لمن أراد الله به الخير»[٢].

٢) نار جهنم لا تُفقد الموحد العاصي اعتقاده الحسن في الله عز وجل.

٣) سعة رحمة الله سبحانه، وعظيم منّه وكرمه وعفوه.

٤) لم يدخل الرجل الجنة رغم العقاب الأليم الذي عُوقب به في النار ولكن رحمة الله عز وجل هي التي أدخلته، قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة، ولا يجيرُ من النار، ولا أنا إلا برحمة الله**»[٣].

٥) قد ينظر الله عز وجل في شأن مجموعة من العصاة بشكل جماعي ثم يستثني برحمته من يشاء منهم فيدخلهم الجنة ويعيد من يريد إلىٰ النار.

٦) إبراز رحمة الله وسعتها من أنفع الموضوعات القصصية التي تبعث في النفس الأمل، وتضفي علىٰ الروح أنوار التفاؤل، وقوة الرجاء.

٧) يمتاز القصص النبوي بوضوح الفكرة، وقوة العبارة، والإيجاز في العرض.

٨) يتفرد القصص النبوي ـ والقرآني ـ بالحديث عن غيبيات محققه الوقوع.

---

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج ١ ص٤٠٠.

(٣) رواه مسلم. صحيح الجامع الصغير رقم الحديث ٧٦٦٧.

تنبيه:

سؤال: إذا كان الرجل من أهل النار ثم دخل الجنة فهل هذا يدل على أن أهل النار غير مخلدين فيها؟

الجواب: أكد القرآن في مواضع كثيرة على أن الكفار خالدون في نار جهنم، والرجل المذكور في القصة لا شك أنه مؤمن لم يكتمل إيمانه فكان عاصياً وعندما أخذ عقابه وأحسن الظن بالله أدخله في رحمته وجنته.

سؤال: كيف عرفنا أن الرجل كان من المؤمنين الموحدين من سياق القصة السابقة؟

الجواب: تؤكد القصة على أن الرجل دخل الجنة ولا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وكما قال الرسول ﷺ: «**لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة**»(٤).

وقال أيضاً كما في صحيح مسلم: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا**»(٥). فهذا الرجل العاصي أخذ عقابه في النار ثم شملته الرحمة فدخل الجنة إذ أن المؤمن لا يخلّد في النار والله عز وجل يغفر الذنوب جميعاً لمن آمن به ولم يشرك به شيئاً.

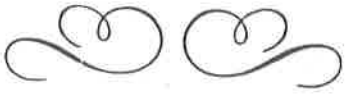

---

(٤) صحيح الجامع الصغير رقم الحديث ٧٦٧٠.

(٥) شرح مسلم للنووي جـ ٢ ص٣٥.

أيها القارىء الكريم :

وبعد هذه المطالعة المتأنية في رياض تلك الأحاديث النبوية السمحة من القصص الحق المبين نسأل الله ضارعين خاشعين أن يشملنا في عظيم رحمته، وكريم عفوه، وأن يعتق رقابنا من النار، وأن يزيدنا حبًّا في نبينا سيد الأولين والآخرين ﷺ.

اللهم يا ولي نعمتنا ويا ملاذنا عند كربتنا نسألك أن تفك قيد أسرانا وأسرىٰ المسلمين، اللهم وحّد صفوف المسلمين ولا تجعل بأسهم بينهم.

وفي الختام استودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه علىٰ أمل اللقاء بكم في الجزء الثالث من هذه السلسلة التربوية إن شاء الله تعالىٰ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *

المراجع:

القرآن الكريم

١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ـ حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت. ط١ ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٢) أحكام الجنائز وبدعها ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي، بيروت دمشق ط٢ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ـ مصطفىٰ صادق الرافعي ـ دارالكتاب العربي ـ بيروت.

٤) الأم ـ الشافعي ـ أشرف علىٰ طبعه وباشر تصحيحه محمد زهري النجار ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.

٥) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ مكتبة المعارف ـ بيروت.

٦) التاج الجامع للأصول ـ منصور علي ناصف ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ط٤ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٧) التذكرة في أحوال الموتىٰ وأمور الآخرة ـ القرطبي ـ أشرف علىٰ التحقيق د. نجاشي علي إبراهيم ـ دار الفكر العربي.

٨) تفسير الطبري ـ حققه وعلق علىٰ حواشيه محمود محمد شاكر ـ راجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر ـ ط٢ ـ مكتبة ابن تيمية.

٩) تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ـ أشرف علىٰ تصحيحه علي شيري ـ ط١ ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

١٠) تهذيب الأسماء واللغات ـ النووي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١١) جولة في رياض العلماء وأحداث الحياة ـ د. عمر سليمان الأشقر ـ مكتبة الفلاح ـ ط٢ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م الكويت.
١٢) حاشية العلامة الصاوي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
١٣) الحديث النبوي وعلم النفس ـ د. محمد عثمان نجاتي ـ دار الشروق ـ ط١ ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م ـ بيروت.
١٤) الحلال والحرام ـ د. يوسف القرضاوي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ دمشق ط١٣ ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
١٥) حلية الأولياء ـ الأصفهاني ـ ط١ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
١٦) دروس وفتاوي في الحرم المكي ـ محمد الصالح بن عثيمين ـ إعداد، بهاء الدين بن عبدالمنعم آل دحروج ـ مكتبة شمس الرياض ـ دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ـ طنطا ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
١٧) ديوان امرىء القيس ـ دار صادر ـ بيروت.
١٨) الروح ـ ابن القيم ـ خرّج أحاديثه وآثاره وحققه وقدم له وعلق على حواشيه عبدالفتاح محمود عمر ـ ط٢ ـ دار الفكر للنشر والتوزيع ـ عمان الأردن ـ ١٩٨٦م.
١٩) زبدة التفسير من فتح القدير ـ محمد سليمان الأشقر ـ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ـ الكويت ـ ط١ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.
٢٠) السبق التربوي في فكر الإمام الشافعي ـ بدر محمد ملك ـ خليل محمد أبو طالب ـ مكتبة المنار الإسلامية ـ الكويت ـ ط١ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٢١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ ط٤ المكتب الإسلامي، دمشق ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٢٢) سنن ابن ماجه ـ حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي ـ المكتبة العلمية ـ بيروت.

٢٣) سنن أبي داود ـ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ـ المكتبة العصرية ـ صيدا.
٢٤) سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي ـ الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٢٥) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، محمد محي الدين عبدالحميد.
٢٦) شرح صحيح مسلم للنووي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
٢٧) شرح العقيدة الطحاوية ـ تحقيق ومراجعة جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني.
٢٨) صحيح الترمذي ـ بشرح الإمام ابن العربي المالكي ـ دار الكتاب العربي بيروت.
٢٩) صحيح الجامع الصغير وزيادته ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ ط٢ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ دمشق ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٣٠) صحيح القصص النبوي ـ أبو إسحاق الحويني الأثري ـ مكتبة الصحابة ـ جدة ـ ط١ ١٤١١هـ.
٣١) صحيح الكلم الطيب ـ ابن تيمية ـ تحقيق الألباني ـ ط٤ ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق ١٤٠٠هـ.
٣٢) العقيدة الواسطية ـ ابن تيمية ـ تعليق وتصحيح محمد بن مانع.
٣٣) علوم الحديث ومصطلحه ـ د. صبحي الصالح ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط١٦ ـ ١٩٨٦م.
٣٤) عمدة القاري بشرح البخاري ـ بدر الدين العيني ـ الناشر محمد أمين دمج ـ بيروت.
٣٥) غرائب الأخبار ـ خالد سيد علي ـ مكتبة دار التراث الكويت ط١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ العسقلاني ـ دار المعرفه ـ بيروت.
٣٧) الفتح الرباني ـ أحمد عبدالرحمن البنا ـ ط٢ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٣٨) الفقه الإسلامي وأدلته ـ د. وهبة الزّحيلي ـ دار الفكر ـ ط٣ دمشق ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٣٩) فقه السيرة ـ د. محمد سعيد البوطي.
٤٠) فقه السيرة ـ محمد الغزالي ـ ط٥ ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ١٩٦٥م.
٤١) الفقيه والمتفقه ـ الخطيب البغدادي ـ ط٢ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
٤٢) فيض القدير ـ شرح الجامع الصغير ـ عبدالرؤوف المناوي ـ دار المعرفة ـ بيروت.
٤٣) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ط١٢ ـ دار الشروق ـ بيروت ١٩٨٦م ـ ١٤٠٦هـ.
٤٤) قصص الأنبياء ـ عبدالوهاب النجار ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط٢.
٤٥) القصص في الحديث النبوي ـ د. محمد بن حسن الزير ـ مكتبة المدني ـ جدة ـ ط٣ ـ ١٩٨٥م.
٤٦) القصص النبوي ـ السيد شحاته ـ السيد تقي الدين ـ دار النهضة العربية ـ مصر.
٤٧) كلام أهل الجنة وتخاصم أهل النار ـ عبدالحميد جاسم البلالي ـ مكتبة المنار الإسلامية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٤٨) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن القاسم وابنه محمد ـ مؤسسة قرطبة ـ مصر.
٤٩) مختصر سيرة ابن هشام ـ إعداد محمد عفيف الزعبي ـ مراجعة

عبدالحميد الأحدب، دار النفائس، بيروت، ط٦، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٥٠) المستدرك علىٰ الصحيحين في الحديث - الحاكم النيسابوري - دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
٥١) مسند أبي عوانة - دار المعرفة - بيروت.
٥٢) مسند أبي يعلىٰ الموصلي - حققه وخرج أحاديثه - حسين سليم أسد - دار المأمون للتراث - دمشق - بيروت ط١ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٥٣) المسند - الإمام أحمد بن حنبل - ط٥ - المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٥٤) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية - للحافظ بن حجر - تحقيق حبيب عبدالرحمن الأعظمي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - ط١ - التراث الإسلامي (٦) - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٥٥) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي - أي ونستك وآخرون - مكتبة بريل في مدينة ليدن.
٥٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبدالباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٥٧) المعجم الوسيط - إخراج د. إبراهيم أنيس وآخرون - ط٢ دار إحياء التراث العربي بيروت.
٥٨) مفتاح دار السعادة - ابن القيم - دار الكتب العلمية - بيروت.
٥٩) موارد الظمآن إلىٰ زوائد بن حبان - للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - حققه ونشره محمد عبدالرزاق حمزة - دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.
٦٠) موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف - إعداد محمد السعيد بن بسيوني زغلول، عالم التراث بيروت، ط١ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
٦١) النبوة والأنبياء - محمد علي الصابوني - ط٣ - مكتبة الغزالي - دمشق.

٦٢) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ـ د. مصطفىٰ سعيد وآخرون مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٦٣) نفحات ولفحات ـ شعر الدكتور يوسف القرضاوي ـ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ط٣ ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٦٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ـ ابن الأثير ـ تحقيق طاهر أحمد الزاوي ـ محمد أحمد الطناحي ـ المكتبة العلمية، بيروت.
٦٥) نيل الأوطار ـ الشوكاني ـ دار القلم ـ بيروت.
٦٦) هذا القرآن فأين منه المسلمون؟ محمد زكي الدين محمد قاسم ـ وزارة الأوقاف والشئون الإسلا مية، الكويت ـ ط١ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
٦٧) وحي القلم ـ مصطفىٰ صادق الرافعي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٦٨) اليوم الآخر (١) القيامة الصغرىٰ ـ د. عمر سليمان الأشقر ـ ط١ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ـ مكتبة الفلاح، الكويت.

* * *

الفهـرس

العنوان	الصفحة
دعاء ورجاء	٥
المقدمة	٧
القصة الأولىٰ	
سارة العفيفة	١٣
القصة الثانية	
أحمق يخرق السفينة	٢٩
القصة الثالثة	
أبي الإسلام لا أب لي سواه	٤١
القصة الرابعة	
نبي يطلب العلم	٤٩
القصة الخامسة	
أشد يوم علىٰ رسول الله ﷺ	٦٩
القصة السادسة	
رضّع يتكلمون في المهد	٧٩
القصة السابعة	
شهيد منتظر	٩٥
القصة الثامنة	
ارحموا ترحموا	١٠٧

القصة التاسعة
ما عجوز بني إسرائيل؟ ١١٥
القصة العاشرة
رحلة الروح إلىٰ السماء ١٢٥
القصة الحادية عشرة
سارق يقسم بالله ١٤٧
القصة الثانية عشرة
كيف سنمر علىٰ الجسر؟ ١٥١
القصة الثالثة عشرة
ما كان هذا رجائي!! ١٦٩
أيها القارىء الكريم ١٧٣
المراجع ١٧٥
الفهرس ١٨١

* * *

صدر للمؤلف

١) السبق التربوي في فكر الإمام الشافعي ـ بالاشتراك مع الشيخ خليل محمد أبو طالب، صدرت الطبعة الأولىٰ عام ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٢) قصص رواها الرسول ﷺ (جزآن)،
صدرت الطبعة الأولىٰ عام ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٣) من وحي المحنة ـ صدرت الطبعة الأولىٰ عام ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٤) الزّهر النّدي في وصف جمال النبي ﷺ،
صدرت الطبعة الأولىٰ عام ١٤١٢ ـ ١٩٩٢م.

* * *

قائمة بمنشورات ومطبوعات مكتبة الصحوة

ت: ٢٦١١٠٠٦

١) مبادىء لفهم التراث	محمد إبراهيم الشيباني
٢) المخطوطات العربية وأماكن وجودها	محمد إبراهيم الشيباني
٣) وصايا ونصائح لطالب العلم	ابن الجوزي
٤) المؤمل في الرد إلىٰ الأمر الأول	المقدسي ـ تحقيق صلاح الدين مقبول
٥) زغل العلم	للذهبي ـ تحقيق محمد العجمي
٦) معرفة الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة	للعسقلاني ـ تحقيق جاسم الدوسري
٧) متىٰ يا شروق (مجموعة قصصية)	للأستاذ نوري الوتار
٨) تنظيم الأوقات في الإسلام	أحمد باقر عبدالله
٩) نظرات في الفكر الماركسي	أحمد باقر عبدالله
١٠) عذاب الدنيا	أحمد باقر عبدالله
١١) الفتن في الآثار والسنن	جزاع الشمري
١٢) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية	الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق
١٣) أطفالنا والقرآن	الأستاذ حمود حطاب
١٤) قلم وفكر	عبدالله الخطيب
١٥) إنهم يهدمون الإسلام	ياسر عبدالله
١٦) شجاعة السلف	حاي سالم الحاي
١٧) دليل الطالب إلىٰ جامعات العالم	الأستاذ حسين عبدالجليل
١٨) تأملات في الصيام	الأستاذ حسين عبدالجليل
١٩) القول المنعوت بتفصيل البسملة والقنوت ناصر لازم	
٢٠) كيف تقرأ القرآن الكريم	الأستاذ محمود الشوم

٢١) تجويد القرآن الكريم	الأستاذ عامر سعيد
٢٢) نظرات في التاريخ الإسلامي	الدكتور عبدالرحمن الحجي
٢٣) جوانب من الحضارة الإسلامية	الدكتور عبدالرحمن الحجي
٢٤) القول الطيب	الأستاذ صادق محمد
٢٥) قصص النساء في القرآن الكريم (للأطفال) (١-١٠)	الأستاذ عبدالمنعم الهاشمي
٢٦) السيرة النبوية للأطفال (١-١٠)	الأستاذ عبدالمنعم الهاشمي
٢٧) حياة يوسف في القرآن (للأطفال) (١-٩)	الأستاذ عبدالمنعم الهاشمي
٢٨) خطايا اللسان	الأستاذ عادل الجطيلي
٢٩) تعليم الصلاة مصور	للأستاذ عبدالمنعم الهاشمي
٣٠) ومات طفلاً (شعر)	ناصر جبر
٣١) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور	مرعي الحنبلي
٣٢) من وحي المحنة	بدر محمد ملك
٣٣) الزّهر الندي في وصف جمال النبي ﷺ	بدر محمد ملك
٣٤) قصص رواها الرسول ﷺ (١، ٢)	بدر محمد ملك

كتب تحت الطبع :

١) الصحابي الجليل ـ عبدالله بن عمر بن العاص	الدكتور عبدالمنعم نجم
٢) شحذ الأسنة في الدفاع عن السنّة	الدكتور عبدالمنعم نجم
٣) الزوجة المثالية في الإسلام	يوسف محمد
٤) تنبيه الإنسان من خطوات الشيطان	إبراهيم القطان

مطبعة الفجر ٤٨٤٣٨١٢

مطبعة الفجر ٤٨٤٣٨١٢